الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

المصطلح النقدي عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين"

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: مصطلحية

إعداد الطالبتين:

- هشّام ليلى
- سطيحة زبيدة

إشراف الأستاذة:

- بوربونة فاطمة الزهراء.

أعضاء لجنة المناقشة:

1- الأستاذ (ة):..............شريط خديجة................رئيسا.

2- الأستاذ (ة):.................."بوربونة فاطمة الزهراء"..........مشرفا ومقررا.

3- الأستاذ (ة):.................دنايب أسماء.....................عضوا مناقشا.

السنة الجامعية:

2015/2014م

1436/1435هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكــر وتقــديــر

نشكر الله العليّ القدير ونحمده على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث المتواضع، ونثني على سيّدنا محمّد أفضل الصّلوات و أزكى التّسليم القائل: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

ففي مثل هذه اللّحظات يتوقّف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجعلها في كلمات ... تتبعثر الأحرف وعبثا أن يحاول تجميعها في سطور... سطوراً كثيرةً تمر في الخيال، ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلاّ قليلا من الذّكريات، وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا، فواجبٌ علينا شكرهم، ووداعهم، ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة، ونخص بجزيل الشكر والعرفان كل من أشعل شمعة في دروب عملنا، وإلى من وقف على المنابر، وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في كلّية الآداب، وخاصة الأستاذة المشرفة:"بوربونة فاطمة الزهراء"، و إلى الطالب:"محمد بوزطيط"، الذي بذل جهده من أجل إنهاء الطّبع في الوقت المناسب، وعلى أحسن صورة، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل سواء بمدّنا بمعلومة، أو كتاب أو أيّ نوع من أنواع الدّعم و المساندة.

المقدمة

مقدمة:

عدّ المصطلح النّقدي العربي من "المصطلحيّة العربية"، ذلك أنّ له جذوراً تراثية تربطه بهذا الموروث النّقدي المتراكم ،كما أنّه كان يتطلّع للمفاهيم التي تفرزها الحداثة الغربيّة ممّا جعله يعيش حالة من التّوتر والاضطراب، والتّعدد فَصَعُبَ بذلك وضعه في قالبه الخاص به.

ولو عدنا إلى التّراث، وألقينا نظرة على المصطلح النّقدي عند القدماء، لوجدنا أنّ مؤلفاتهم تزخر به، وإن لم يقصدوا به المعنى المعاصر، وإنّما وضعوها من أجل التّأليف ،وبيان فضل العرب، وعلومهم، تماما كما فعل الجاحظ في كتابه "البيان والتّبيين"، حين ألّفه في القرن الرابع الهجري ليردّ به على الشّعوبية، إذ كان يكتنز مئات المصطلحات النّقدية ممّا جعله محلّ دراسة ومتابعة من قبل الباحثين، فدرسه بعضهم مركّزاً على القضايا الواردة فيه والبعض الآخر تناوله من حيث إشكالية عنوانه، ونحن اليوم سنتناوله من خلال إحصاء المصطلحات النّقدية الموجودة فيه.

هذا وقد قام عدّة باحثين بدراسة مصطلحاته النّقدية، والبلاغية كما فعل الشّاهد البوشيخي في كتابه "مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتّبيين"، وما يلاحظ عليها أنّها لا تقدّم التّعريف المحدّد والدّقيق للمصطلح، ممّا يصعّب الإمساك بتعريفه، أضف إلى ذلك أنّها لا تقوم بتصنيف المصطلحات، وربّما يعود ذلك إلى ذكره للمصطلح الواحد في مواضع متناثرة هنا وهناك، باعتباره واسع المادّة المعرفية.

وقد كان اختيارنا للبحث ينطلق من سببين هامّين هما:

1–سبب ذاتي: ويتمثّل في رغبتنا في الإطّلاع على المصطلحات النّقدية العربية في التّراث، والوضعية التي كانت عليها، وما آلت إليه في العصر المعاصر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولتنا الرّبط بين الموضوعات القديمة والجديدة، وبين ميدان قديم حديث، أي بين ميدان النّقد والمصطلحية.

2– أمّا السبب الثاني: فهو موضوعي يتمثّل في تقديم بحث ممنهج في إطار إعداد مشروع مذكّرة لنيل شهادة الماستر، وقد حاولنا –في هذا–أن نتوخّى سبيل الموضوعية والالتزام بها، لنضفي طابع العلميّة على عملنا هذا المتواضع.

وعليه فقد كان اختيارنا لهذا الموضوع باعتباره يربط المصطلحية العربية كونها علما حديثا جديدا في السّاحة العربية بالموروث النّقدي العربي ككلّ، وهذا لمعرفة الإرهاصات الأولى للمصطلح النّقدي العربي، وكيفية تشكّله.

ومن أجل هذا حاولنا الاقتراب إلى مدوّنة تعتبر الأقدم في العالم العربي وهي "للجاحظ" مع محاولتنا قراءة مصطلحية لكتابه المعنون "البيان والتّبيين" وحاولنا استقصاء مدلولات المصطلحات النّقدية الموجودة داخلها، فكانت الإشكالية تتلخّص فيما يلي:

-كيف تشكّلت المصطلحات النّقدية العربية ؟ وما هي بداياتها الأولى ؟ وأهمّ وظائفها ؟ وكيف وردت في كتاب الجاحظ ؟ وكيف كانت مدلولاتها ؟

وأصدرنا عملنا هذا وفق خطّة رسمناها كالآتي:

المقدمة: وهي المتصدّرة لأيّ عمل علمي، ولا غنى عنها، ثم تلاها مدخل تطرّقنا فيه لبداية المصطلح عامّة والمصطلح النّقدي خاصّة، بعدها تعرّضنا إلى دراسة نظرية قمنا بوضعها في ثلاثة فصول تبعا لطبيعة العنوان، حيث عنونا الفصل الأوّل بالمصطلح والمصطلح النّقدي (تعريفات ووظائف)، فتطرّقنا فيه لتعريف المصطلح لغة واصطلاحا، ثم تعريف المصطلح النّقدي، أمّا الفصل الثاني: فعرضنا فيه مختلف إشكالاته، إذ تطرّقنا في المبحث الأوّل للإشكالات ثم اقترحنا في المبحث الثاني من هذا الفصل بعض الحلول للحدّ منها، أمّا في الفصل الثالث فانتقلنا إلى المدوّنة، وقمنا بالتّفصيل في بعض قضاياها حيث عنونا القسم الأوّل منها بقراءة في "البيان والتّبيين" فقدّمنا تمهيدا لهذا الفصل، عرّفنا فيه بالجاحظ وفي المبحث الأوّل قمنا بقراءة مصطلحية في العنوان، وهو شكل المدوّنة موضوع البحث، أمّا المبحث الثاني ففيه قراءة مصطلحية في اللّفظ والمعنى، وهو مضمون المدوّنة.

بعدها انتقلنا إلى الفصل الرابع، وهو الفصل التّطبيقي من هذه الدّراسة، وفيه قمنا بإحصاء أهم المصطلحات النّقدية الموجودة في كتاب "البيان والتّبيين"، مع حصرنا إيّاها نظراً لكثرتها وعدم قدرتنا على الإلمام بجميعها.

وفي إحصائنا لها قمنا بتصنيفها في مبحثين: المبحث الأوّل وضعنا فيه مصطلحات في الصّناعة الكلامية أمّا المبحث الثاني فوضعنا فيه مصطلحات في البلاغة والأدب.

وفي الأخير ختمنا بخاتمة فيها لخّصنا أهمّ ما توصّلنا إليه في متن هذا الموضوع.

هذا وقد اعتمدنا في الدّراسة على مجموعة من المصادر، والمراجع منها الخاصّة بالبحوث المصطلحية، ككتاب "إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد" ليوسف وغليسي، وكتاب "المصطلح في التّراث النّقدي" لرجاء عيد، وكذا كتاب محمد عزّام والذي هو بعنوان "المصطلح النّقدي في الأدب العربي"، ومحمد الصّغير بنّاني صاحب موضوع "النّظريات اللّسانية، والبلاغية، والأدبيّة عند الجاحظ من خلال كتاب (البيان والتّبيين)"، كما اعتمدنا على مجموعة من المقالات والرّسائل الجامعية منها إبراهيم كايد محمود: "المصطلح ومشكلات تحقيقه"، وإبراهيم صدقة "المصطلح النّقدي بين التّراث والحداثة"، منتهى الحراحشة: "من مشكلات المصطلح النّقدي في الدّراسات النّقدية العربية الحديثة والمعاصرة"، علي محمد العمّاري "قضية اللّفظ والمعنى وأثرها

في تدوين البلاغة العربية(إلى عهد السّكاكي 555هـ 626هـ)"، مع أهمّ مصدر لنا في البحث وهو "البيان والتّبيين".

واعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التّحليلي باعتباره الأنسب ونهدف من خلال بحثنا هذا إلى العودة إلى التراث العربي والوقوف على الوضعية التي كانت عليها المصطلحات النقدية .

قد واجهتنا في عملنا هذا مجموعة من الصعوبات ،والعراقيل تمثّلت في قلّة المراجع التي تتحدّث عن الموضوع، وعدم توفّرها بالكمّ المطلوب، خاصّة بالنّسبة للجانب النّظري، بالإضافة إلى ضيق الوقت.

ولا ننسى تقديم الشّكر لكلّ من ساعدنا في إنجاز هذا البحث، ونخصّ بالذكر الأستاذة المشرفة "بوربونة فاطمة الزّهراء"، والتي بذلت معنا جهداً كبيرا من خلال توجيهها لنا بنصائحها القيّمة وإرشاداتها.

وفي الأخير فإن دراستنا هته لا تدّعي لنفسها الكمال، إلاّ أنّها محاولة متواضعة لإبداء نظرة عامّة، وأخرى خاصّة على ما يعرف بالمصطلح النّقدي، وخاصّة عند القدماء، ومن أسّس له كالجاحظ مثلا.

مدخل:

بدايات ظهور المصطلح عامة

والمصطلح النقدي خاصة

مدخل: بدايات ظهور المصطلح عامة والمصطلح النقدي خاصة

لعلّ البدايات الأولى للظّهور الفعلي لكلمة "مصطلح" جاءت متأخّرة، حيث ظهرت في العصر الحديث عند الغرب ثم العرب لكن إرهاصتها، واستخداماتها، فتعود إلى عصور ومحطّات تاريخية سابقة.

فلا شك بأن الظّاهرة المصطلحية من حيث هي أسماء خاصّة بقطاعات معرفية، أو تقنية، أو فنية أو مهنية، قديمة قدم الأنشطة النّظرية، والتّطبيقية للإنسان، ومعالم تجلّيها بكيفية واضحة كانت بوجود اللّغات الطّبيعية، ورغم هذا فالعناية بدراستها والاهتمام بأبعادها المعرفية، والاجتماعية، والاقتصادية، لم يتحقق إلاّ في العصر الحديث، وذلك نظراً لما عرفه مجال المصطلحات من نمو متزايد بوتيرة سريعة، نتيجة القفزات النوعية التي عرفتها مختلف أصناف المعارف، والاختراعات علاوة على التّوسع الهائل الذي شهدته المبادلات الاقتصادية والعلاقات السّياسية، ووسائل الإعلام المسموعة، والمكتوبة والمرئية، لدرجة باتت معها الوحدات المعجمية للّغات العامة تفقد أهمية تفوّقها العددي لصالح الوحدات المصطلحية، التي صارت تواكب ما يكتشف يوما بعد يوم من وقائع ومعطيات، كانت في خانة الغيب أو المجهول.[1]

وكما أسلفنا سابقا، فإن العرب اهتمّت بالمصطلحات منذ عهد مبكّر، "فكان القرآن الكريم أهم مصدر إذ تحولت بعض الألفاظ من معانيها اللغوية إلى مصطلحات، زخرت بها كتب الفقه الإسلامي".[2]

وعليه فإنّه، "ومن خلال تتبّع هذا اللّفظ في كتب التّراث نلمس أنه يغلب على العلماء عدم التّفريق بين كلمتي "مصطلح" و "اصطلاح"، إذ استخدم المصطلحان وكأنّهما مترادفان تماما".[3]

فورد لفظ "الاصطلاح" في الكثير من الدّراسات الأدبية واللّغوية القديمة، ككتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، حين عرضه لكلام بشر بن المعتمر، وإبرازه لمكانة المتكلّمين في أنّهم: (تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم).[4]

"وتحدّث الجاحظ عن التحول الذّي طرأ على الألفاظ بظهور الإسلام، وأشار إلى ترك الناس لألفاظ كثيرة، ومن ذلك تسميتهم للخراج "إتاوة"، وكقولهم للرّشوة ولما يأخذه السلطان (الحلوان) و (المكس)".

وإلى استحداثهم ألفاظا لم تكن موجودة، وإنّما اشتقت من أسماء أو ألفاظ متقدّمة على التّشبيه والمجاز مثل قولهم لمن أدرك الإسلام "مخضرم"، وللأرض التي لم تحفر ولم تحرث إذا فعل بها ذلك "مظلومة".[5]

([1]) انظر: أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية: علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، 2005م، ص4.

([2]) أحمد مطلوب: بحوث مصطلحية، منشورات المجمع العلمي، 2006م، ص1.

([3]) إبراهيم كايد محمود: مقال "المصطلح وإشكالية تحقيقه"، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 97، 1426هـ، ص21.

([4]) انظر: مهدي صالح سلطان الشمري: في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2012م، ص59.

([5])أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2001م، ص2،3.

وكذلك نجد الخوارزمي (ت 380هـ) لايفرق بين "الاصطلاح" و "المصطلح"، فهو يقول في وصفه لكتابه "مفاتيح العلوم" إنّه جعله جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصّناعات، مضمّنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات، فنجده في هذا القول يذكر ألفاظا متقاربة في دلالاتها، ولا توجد فروقات فيما بينها وليس هناك فرق بين مفاتيح وأوائل وبين مواضعات واصطلاحات.(1)

ومثل هذا نجده عند التهانوي (ت 1158هـ) الذي وسم كتابه باسم "كشّاف اصطلاحات الفنون" حيث ذكر سبب وضعه له أنّه لاحظ "اشتباه الاصطلاحات وأنّ لكل اصطلاح خاص به"، إذ نجده في موضع "تال" يقول: "فاقتبست منها المصطلحات أوان المطالعة"، وهكذا نجد أنّ التهانوي لم يفرق بين الاصطلاح والمصطلح، وتحدّث عنهما كأنّهما شيء واحد.(2)

ولعلّ أوّل قاموس أورد لفظ "اصطلاح" هو "تاج العروس" في القرن الثّالث عشر هجري، وربما كان أوّل قاموس عربي معاصر أدخل لفظ المصطلح إلى مدوّنته، هو "المعجم الوجيز" الذي أصدره مجمّع اللّغة العربية بالقاهرة سنة 1980م.

ثمّ تبعه المعجم العربي الأساسي الصادر عن المنظّمة العربية للتّربية والعلوم والثّقافة سنة 1988م.(3)

وكان للنّهضة العلمية أثر في تقييد المصطلحات، ووضع الكتب الخاصّة بها ومعاجم المصطلحات ومن ذلك:

-كتاب "الزينة" لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازي (320هـ)، وهو في الكلمات الإسلامية.

-"كتاب الحدود" لأبي الحسن على بن عيسى الرماني (384هـ) وهو في مصطلحات النّحو.

-"الرسالة القشيرية" لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان (465هـ) وهو في مصطلحات التّصوف.

ولعل القائمة هنا طويلة من الكتب الكثيرة التي وضعت وهي تزخر بالمصطلحات في مختلف ميادين العلوم.(4)

أمّا فيما يخصّ معاجم المصطلحات المختلفة، فنجد "مفاتيح العلوم" لمحمّد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (387 هـ)، والذي يعدّ أقدم موسوعة بالعربية تعرضّت للعلوم ومصطلحاتها وكذلك "التعريفات"لعلي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسّيد الشّريف (ت 816هـ)، وهو من أدقّ الكتب تعريفا وأكثرها استشهادا بالنّسبة للدّارسين والباحثين، كذلك نجد "الكليات" لأيّوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت 1094هـ)، وهو معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية.(5)

---

(1) انظر : إبراهيم كايد محمود: المرجع السابق، ص22.

(2) المرجع نفسه، ص22.

(3) انظر :عضاء شبكة تعريب العلوم الصحية:المرجع السابق ، ص24.

(4)انظر: أحمد مطلوب، بحوث مصطلحية: المرجع السابق، ص 15،16.

(5) أحمد مطلوب: المرجع نفسه، ص16.

وهكـذا نسـتخلص أنّ القـدماء اسـتعملوا "مصـطلح" و "اصـطلاح" وضـمّنوهما في كتـبهم، ومعـاجمهم ومصنّفاتهم، وتحدثوا عن معانيهما، وكان الغالب عليهم استعمال لفظ "اصطلاح" ولم تطرح آنذاك قضيّة أيهما الأنسب "اصطلاح" أم "مصطلح"، فالقضيّة والإشكال إنّما ظهرا في العصر الحديث، حيث ظهرت ثلاثة اتجاهات حول الاستخدام اللفظي لها.

فالاتّجاه الأوّل اكتفى بلفظ "اصطلاح" واستبعد لفظ "مصطلح" نهائيا، كما فعل أحمد فارس الشدياق في كتابه "الجاسوس على القاموس".

أمّا الاتّجاه الثّاني، فلم يفرّق بين اللّفظين، وتحدّث عنهما باعتبارهما شيئا واحدا، كما قال محمود فهمي حجازي ""وكلا المصدرين "اصطلاح" و "مصطلح" لم يرد في القرآن الكريم أو في الحديث الشّريف، أو في المعجمات العربية القديمة..."[1]

وأمّا الاتّجاه الثّالث ففرّق بين اللفظين "مصطلح" و "اصطلاح"، وأبرز من مثله شاهين عبد الصّبور الذي فرّق بينهما بقوله: "فنحن نتذوق في استعمالنا لكلمة (اصطلاح) معناها المصدري الذي يعني الاتّفاق والمواضعة والتّعارف ونقصد في استخدامنا لكلمة (مصطلح) معناها الاسمي الذّي يترجم كلمة (term) الإنجليزية ولذلك لا نجد بأسا في أن نقول: (إن اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث)، وهو أولى وأفضل من أن نقول: (إن اصطلاحنا على اصطلاح) بهذا التّكرار الرّقيق، ويحي جبر الذي ذهب إلى ضرورة استخدام لفظ "الاصطلاح" دون لفظ "مصطلح" لأنّ كلمة "مصطلح" لا تصلح لغة، والحجّة عدم ورودها في معاجمنا القديمة ولم يستخدمها أسلافنا.

هذا وإنّه إذا حاولنا أن نوفق بين آراء كثيرة، نذهب إلى ما جاء به يوسف وغليسي في مدوّنته "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" حيث يقول: "إنّنا نؤثر الاحتفاظ بالصّيغتين معا (مصطلح واصطلاح)، اقتناعا برأي من سبقنا من الدّارسين (عبد الصبور شاهين، حامد قنيبي...) على أساس أنّ مفهوم كل منهما يختلف عن مفهوم الآخر في لغتنا المعاصرة فنحن نتذوّق في استعمالنا كلمة (اصطلاح) معناها المصدري الذي يعني الإتفاق والمواضعة والتعارف، ونقصد في استعمالنا لكلمة (مصطلح) معناها الاسمي"، وعليه فإنّنا نسعى إلى المزاوجة بين الاستعمالين خلال البحث، مع اقتراح تمييز خفي بين "الاصطلاح" و"المصطلح" يعادل ما نستشعر من فرق بين البناء والبنية، فكان الأوّل يتمحّض لفعل البناء الاصطلاحي، بينما يقتصر الثّاني على بنية مصطلحية منجزة.[2]

هذا إذن عن بدايات المصطلح عند العرب، فقد ذكروا كلمة "مصطلح" وذكروا كلمة اصطلاح" و"اصطلاح" أسبق من "مصطلح" من حيث الاستعمال والظهور، والاختلاف كان في العصر الحديث في أيّهما

---

(1) ابراهيم كايد محمود: المرجع السابق، ص 22،23.

(2) المرجع نفسه، ص23.

الأنسب، فحين استعمل بعضهم لفظ "مصطلح" فضّل البعض الآخر لفظ "اصطلاح"، ولكلّ واحد حجّته في ذلك ودليله.

أمّا اللّغات الأوروبية فتصطنع لهذا المفهوم كلمات متقاربة النّطق والرّسم من طراز (term) الفرنسية و(term) الإنجليزية، و(termine) الإيطالية، ، و(termine) الإسبانية، و(termo) البرتغالية، وكلّها مشتّقة من الكلمة اللاّتينية (terminus)، ومعناه الحد أو المدى أو النّهاية، ودلالاتها المختلفة تراوحت _ابتداء من القرن 13م، بين مفاهيم (الكلمة) و (عنصر القضية المنطقية) و (حد المعنى) ...لتدلّ في الاستعمال الألسني_ على "وحدة معجمية موظّفة ضمن إحدى الوظائف التّركيبية الأساسية، ومزوّدة بمعنى محدد".[1]

والدّلالة الأسطورية للكلمة (terme) مكافئة لرّب التخوم الحدودية الذّي يحيل في الميثولوجيا الإغريقولاتينية على إله روماني مجسّد للحدود،أو تخوم الحقول يمثل بنصب يعلوه صدار...وعليه فإنّ هذه الكلمة الغربية قد تنازعتها الدّلالات العقدية والجغرافية، والمنطقية...ولا زالت تستعمل في حقل الرّياضيات بمعنى "الحد" (حد متوالية terme d'une suite)، وفي القانون المدني لازالوا يستعملونها بمعنى الكلمة الفرنسية الأخرى (délai) حيث يقولون: أجل فاسخ (terme extinctif)، وانقضاء الأجل (Expiration duterme) وأجل المرافعة Délai de procédure... إلى غيرها من الاستعمالات حيث تمتد إلى القاموس الاقتصادي.

وعلى هذا فإنّ المصطلح (terme) بتحديد عام هو "كل وحدة (لغوية) دالّة مؤلّفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعدّدة (مصطلح مركب) وتسمّى مفهوما محدّدا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"[2]

فمن خلال هذه التّعاريف المتباينة عند الغرب فإن كلمة "المصطلح" لها في اللّغة المتخصصة معنى محدّد وصيغة محدّدة، قد يشعر المرء في اللّغة العادية أنّها تنتمي إلى مجال محدّد[3]، ومن هنا كانت بدايات المصطلح عند الغرب انطلاقا من هذه التّحديدات المختلفة.

أمّا الاستقرار العلمي للمصطلح في العصر الحديث، فبدأ بالسّعي الأوروبي إلى توحيد قواعد وضع المصطلحات على النّطاق العالمي منذ القرن التّاسع عشر، فقد صدر معجم مصوّر للمصطلحات التّقنية بست لغات في أوائل القرن العشرين من طرف فريق دولي من الخبراء، وبعدها أصدر الأستاذ فيستر (ت 1977م) رائد علم المصطلح الحديث، والأستاذ المهندس بجامعة فيينا عام 1931م، معجمه الخاص بالهندسة الكهربائية الموسوم ب(التقييس الدّولي للّغة التّقنية)، وقد أرسى كثيرا من أصول هذا العلم الجديد، ومنها أنّ المصطلح وسيلة اتصال لصيقة بطبيعة المفاهيم، وتعدّ جهوده ضمن مدرسة فيينا وجهودها إضافة إلى جهود مدرسة براغ اللسانية الوظيفية،

([1]) انظر: يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م، ص 22،23.

([2]) المرجع نفسه، ص 23.

([3])انظر: أيمن الشوا: مقال: "من قضايا المصطلح العلمي عند الأمير الشهابي"، (مصطفى الشهابي)، مجلة "المقتطف"، مج 426/76، 1930م، ص 190.

ورائدها سوسير، والمصطلحات عندها جزء أو قطاع من ألفاظ اللّغة، ثمّ تطور التّعاون الدّولي في علم المصطلحات، وظهرت (المنظّمة العالمية للتّوحيد المعياري ISO) في جنيف السّويسرية، والتي قدّمت جهودا ملموسة في مجال توحيد مبادئ وضع المصطلحات، ثمّ تأسّس (مركز المعلومات الدولي للمصطلحات (infoterm) في فيينا، ونذكر من المؤتمرات المؤسّسة في علم المصطلح)النّدوة العالمية حول مشكلات الترادف والتعريف في علم المصطلح 1982م في كويبك بكندا...[1].

هذا إذن فيما يخصّ "المصطلح"، أمّا مصطلح "نقد" فيمر بمراحل تسبقه كغيره وتكون ممهّدة له.

نعلم ما يتردّد حول "الحكم" بين الشعراء في أسواق العرب المشهورة، إذ أنّ اعتماد تلك الأحكام على مجرّد "تفضيل شاعر على سواه، إنّما هو أشبه بإرهاصات مبكرة سوف يتاح لها -فيما بعد-أن تتقدم بمفهوم النقد ولعلّ أوّل تلك الخطوات، ما هي إلاّ ملاحظات خاطفة تتكرّر في مؤلّفات متعدّدة، منها على سبيل المثال:

[[...النّابغة: أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا]].

[[...زهير: كان لا يعاظل في الكلام، ويتجنّب وحشيّ الشّعر]].

[[... وامرؤ القيس كان أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة]].[2]

وكان التّحكيم في هذه الأسواق، و في المربد، ونظائرهما قريب الشّبه بما كان من التّحكيم المسرحي في العصور اليونانية القديمة وذلك قبل نشوء النّقد المنهجي عندهم.

وخير من يصوّر لنا هذا الاتجاه معبّرا عن غايته هو "أبو عثمان الجاحظ"، حين قدّم نصيحة للشّاعر والكاتب بالاحتكام إلى ذوق الصّفوة من الجمهور، والثّقة في ذلك الذّوق دون التماس تعليل فنّي منه، فقال "إذا أردت أن تتكلّف هذه الصّناعة، وتنسب إلى هذا الأدب فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة، أو ألّفت رسالة، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك، أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك أن تنتحله وتدّعيه، ولكن إعراضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار، أو خطب، فإن رأيت الأسماع تصغي له، والعيون تحدج إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله، فإذا عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الأسماع عنه منصرفة، والقلوب لاهية، فخذ في غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه.[3]

"والواقع أنّ النّقد الأدبي عند العرب، قد نشأ ملاحظات على الشّعر والشّعراء، قوامها الذّوق السّاذج فكان ذلك سببا لتجويد الشّعر، وكان النّقد يتناول اللّفظ والمعنى الجزئي، ويعتمد على الانفعال والتّأثر، دون أن تكون هناك قواعد مدونة يرجع إليها النّقاد في شرح أوتعليل".[4]

([1]) انظر: مهدي صالح سلطان الشمري: المرجع السابق، ص63.

([2]) انظر: رجاء عيد: المصطلح في التراث النقدي، كلية الآداب، جامعة بنها، منشأة المعارف بالإسكندرية، 2000م،ص 25.

([3]) حسين الحاج حسن: النقد الأدبي في أثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1996م، ص 27.

([4]) محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، ص 5.

هذا وإنّ النّقد في بداية نشأته عند العرب، على الرغم من أن عماده الذّوق، إلاّ أنّه بظهور الحركة العلمية بعد الإسلام، وتقنين العلوم والآداب، ظهرت تلك النّزعة العلمية في النّقد، لكنها لم تطغ على النّاحية الفنية، بل بقيت إلى جانبها، ومن ثمّ صار في اتجاهين هامّين هما:

-اتّجاه فنّي: غايته تمييز الجيّد من الرّديء.

-اتّجاه علمي: غايته معرفة الأصيل من الزّائف.[1]

ثم إنّه لما تقدّم القرن الهجري الأوّل تعدّدت بيئات الشّعر فقوى النّقد بقوّته، وتعدّدت أيضا نواحيه، فمن نقد لغوي إلى نحوي، وثالث عروضي، ورابع يلحظ البيئة، فخامس يُعنى بأحوال الشّاعر العملية الإبداعية.[2]

ففي القرن الثّاني نعلم جهد روّاة الأشعار، وما اكتملت بذلك صورته، وما أتاحت مادتّه الوفيرة، وتعدّ أصواته الشّعرية- والتي كان الفضل فيها جميعها للرّواة- والتي قدّمت لمن يشاء مادّة خصبة تتيح المقارنة والموازنة، وقد تدفع إلى نقدات-وإن كانت هينة بسيرة- لا تخلو من تعليل أو تفسير.[3]

ويكاد يهلّ القرن الثّالث الهجري، حتى تتشعّب فروع النّقد وتتعدّد اتّجاهاته، فتظهر مدارس التّجديد وينزع الإبداع إلى التأثر بالثّقافات الأجنبية من يونانية، وهندية، وفارسية...الخ، مع مشاركة الجدل والمنطق والفلسفة في هذا الصّراع الفكري وكذا الإبداع الأدبي والنّقدي، فنجد أن المعارك تدور حول البحتري وأبي تمّام أيّهما أشعر، وبين المتنبي وخصومه، مما يُكسب النّقد من وراء ذلك كتبا ورسائل من مثل (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) و(الموازنة)...الخ، حتّى إذا تدهور الأدب تدهور النّقد معه.[4]

وهكذا كانت بدايات النّقد عند العرب، منذ الجاهلية إلى صدر الإسلام، ثم إلى العصر الأموي فالعبّاسي، مستمدة من البيئة المعاشة.

ومع تطور الزّمن يظل مفهوم النّقد: "تمييز جيد الشعر من رديئه"، حتى في العصر الحديث نرى هذا المعنى عند أحمد أمين في مثل قوله: "ونحن هنا نستعمل الكلمة بمعناها الواسع وهو تمييز جيّد الشعر من رديئه".

ثم ما فتئ أن توسّع هذا المفهوم، ولكن أساسه دائما هو تمييز الجيّد من الرّديء، فقام بذلك جوهر النّقد الأدبي العربي الذي اعتمد على الكشف عن جوانب النّضج الفني في النّتاج الأدبي أولاّ، والتّمييز عمّا سواه والتّعليل ثانيا، ثم يأتي الحكم عليها أخيرا.[5]

---

(1) انظر: عثمان موافي: دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2000م، ص 13.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 5.

(3) انظر: رجاء عيد: المرجع السابق، ص 25.

(4) انظر: محمد عزام: المرجع السابق، ص 5.

(5) انظر: رجاء عيد،:المرجع السابق، ص 30.

ومن هنا جاء تعبير المصطلح النّقدي، إذ أطلق على مسمّيات تلك الأحكام التي كان يصدرها العرب على القدماء، وما آلت إليه فيما بعد، فالقدامى من العرب مارسوا النّقد كما هو معروف ولكن لم تكن هناك قضية اسمها المصطلح النّقدي.

وعليه فإنّه "إذا حاولنا أن نبحث في المصطلح النّقدي ومرجعيته في التّراث فإننا نجده كامنا في التّراكم الإبداعي، وأنّ منظري الأدب يستنبطونه من المصنّفات الشعرية التي يتلقّونها عبر المراحل الزّمنية".(1)

وقد "استطاع النّقاد الأوائل –على الرّغم من حداثة التّجربة النّقدية لديهم- أن يستنبطوا بعض المصطلحات النّقدية التي اعتمدوا عليها في دراستهم للشّعر، والحكم على الشّعراء وإنزالهم المراتب التي يستحقّونها من حيث جودة أشعارهم أو رداءتها.

ولعلّ من الأمثلة الدّالة على قدرة النّقاد على استنباط المصطلحات النقدية، استعارة ثعلب (ت 291هـ)مصطلحه النّقدي من الخيل، حين جعل الأبيات غرّاء ومحجّلة ومرجّلة، ومصطلح "عمود الشّعر" الذي أطلقه الأمدي (ت 370هـ) لأول مرة وثيق الصلة ببيت البدوي(2)

ولا شكّ "أنّ المصطلح النّقدي والبلاغي نشأ عربيّا، وما إن بدأ الاتصال الفعلي بتراث الأمم والشعوب، كالفرس واليونان والهنود والرومان...الخ، حتى تسرّبت بعض هذه المصطلحات الفكرية والفلسفية إلى النّقد العربي عامة".(3)

فهذا الاتّصال، والاحتكاك بهم، خاصّة بالتّراث اليوناني له أثره في الثّقافة العربية الإسلامية، حيث أخذ النّقاد والبلاغيون منذ القرن الثّالث للهجرة في وضع المصطلحات النّقدية والبلاغية.(4)

وبالطبع فإن هذا التأثّر والتأثّير، ما هو إلاّ دليل على صحّة تفاعل خلاّق، كان قد أفاد النّقد الأدبي من جرّاء هذا التلاّقح الفكري، كما تدلّنا على ذلك المصطلحات التي عرفت في العلوم العقلية، والنّقلية والدّخيلة جميعها، وهكذا شرع العلماء، والنقاد والمفكرون العرب في وضع اصطلاحات نقدية وبلاغية، ولاحظوا اختلاف هذه المصطلحات بين عالم وآخر.(5)

ولعلّ للجاحظ (ت 255هـ) السّبق في اختراع ووضع كثير من تلك المصطلحات، بعد أن تبعه ابن المعتز (ت 296هـ) في هذا المجال الذي يشير إلى سبقه في وضع اصطلاحات "البديع" حيث يقول:" إن بعض من قصر عن السّبق إلى تأليف هذا الكتاب، ستحدثه نفسه وتمّنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمّى فنّا من فنون البديع بغير ما سمّيناه".

---

(1) إبراهيم صدقة: مقال: "المصطلح النقدي بين التراث والحداثة في عصر العولمة ودوره في تطوير المناهج النّقدية في الجامعات العربية،"، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، 2013م، ص5.

(2) حسين لفته حافظ: مقال: "العلاقة بين الذوق والمصطلح النقدي في التراث النقدي العربي القديم"، مركز دراسات الكوفة ، ع 12، 2009م، ص 41.

(3) محمد عزام: المرجع السابق، ص 6.

(4) حسين لفتة: المرجع السابق، ص 41.

(5) انظر: محمد عزام: المرجع السابق، ص6.

وكان لقدامة بن جعفر (ت 337هـ) الفضل في وضع الكثير من المصطلحات النّقدية البلاغية التي استعارها من الفلسفة والمنطق نحو (صحة التّقسيم ،وصحّة المقابلات، وصحّة التّفسير ،والتّكافؤ، وكان لحازم القرطاجني (ت 684هـ) إسهام فاعل في ابتكار كثير من المصطلحات النّقدية على الظّواهر الشّعرية التي حاول تأصيلها مثل: التّأنيس، والمراوحة، والإحالة...الخ[1] .

"وإذا كان لكل قوم ألفاظ، ولكل صناعة ألفاظ كما يقول "الجاحظ"، فإن من البديهي ألاّ تفهم آثار أولئك القوم، أو تلك الصناعة إلاّ بمعرفة تلك الألفاظ، و من هنا كانت (دراسة المصطلحات) من أهم الواجبات التي ينبغي على الباحث في التّراث أن يُعني بها".[2]

ومن خلال كل هذا نصل إلى استخلاص كيفية تشكّل، ووجود المصطلح النّقدي عند العرب، إذ تشكلت هذه المصطلحات النقدية العربية من خليط من التّصورات، استمد بعضها من عالم الأعراب، وخيامهم (البيت–العمود)، ومن عالم سباق الخيل (المجلّى والمصلّى)، ومن عالم الثّياب (حسن الديباجة–رقيق الحواشي–مهلهل)، ومن عالم الحرب والشّجاعة (متين الأسر)، ومن ظروف التّصارع القبلي (النّقائض–السّرقة–الرّفادة–الإغارة).

كما استمدّت مصطلحات من عالم الطّبيعة (هذا شعر فيه ماء، ورونق)، ومن الحياة الإجتماعية (الطّبع والصّنعة)، بل واستمدّت مصطلحات من عالم الجنس (المعاضلة–الفحولة)، ومن تجارب العرب في الترجمة (اللّفظ والمعنى).

وهكذا نجد أن البواكير الأولى للمصطلحات النّقدية ثّم التّطور الذي آلت اليه من بعد، تحمل معطيات الحياة العربية من الجاهلية (المعلقات–القصائد) إلى صدر الإسلام (النّقائض) إلى عصور الانحطاط (المعارضات–الموشحات).[3]

فكان من الواضح جدّا أنّ كاريزما المصطلح النّقدي العربي تتولّد من إنبنائه على تصوّر للمعرفة، ينأى بها عن أن تكون ملتبسة أو مراوغة، كما ينبني على تصور للعقل ينزّه عن أي شك في قدرته على الوصول إلى المعرفة وإدراك حقيقتها وجوهرها.

(1) حسين لفته حافظ: المرجع السابق، ص41.

(2) محمد عزام: المرجع السابق، ص6.

(3) رجاء عيد: المرجع السابق، ص 6.

فهذه الكاريزما نابعة من ميله نحو الواحدية في المفهوم بسبب ولادته الطّبيعية التي أقرّت سلامة صناعته وبنائه، و من ثمّة ضمنت له الاستقرار في النّقد العربي، وكفلت له القدرة على الاحتفاظ بدقّة المفهوم ووضوحه، فضلا عن توافر عناصر الإبداع فيه ممثّلة في جمال صوغه اللغوي، وخفّة جرسه، وقدرته على الدّيمومة والبقاء.(1)

وفي الأخير نستطيع القول أن المصطلح النّقدي العربي، والذي نشأ في بيئة عربية احتكت بتراث الأمم الأخرى، لكن اللّمسة العربية ظلّت تطبع وجوده وتشكّله.

غير أنّ الهجرة غير الشّرعية للمصطلحات الوافدة من ثقافة الآخر –بانتظام مثير- بفعل الإسهال المصطلحي، الذي أصاب الدّراسات النّقدية العربية الحديثة والمعاصرة، عجّلت بزعزعة النّسق المعرفي لدى المتلقي العربي، الذي ضعفت مناعته الثّقافية ليجد نفسه في نهاية المطاف، قابلا لتقبل جميع القيم والمواقف السلوكية، وتمريرها دون ما اعتراض عقلي، أو ممانعة نفسية، في وضعية شديدة الشّبه بوضع السّم في الدّسم.

فكان مفهومه يمثّل في حقيقته خلاصة أفكار ونظريات، وفلسفات معرفية في النّسق المعرفي الذي أوجده وينتمي إلى بنائه الفكري، وكان غالبا ما يتجاوز المفهوم بناءه اللّفظي، ويتخطّى جذره اللّغوي، ليعكس كوامن فلسفة الأمة التي أنتجته، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استنبطته ذاكرتها المعرفية من محمولات إيديولوجية.(2)

وهكذا فإنّ ورود "مصطلح" و "اصطلاح" عند القدامى وبدايات استعمالات المصطلحات النقدية والتي كان موردها الأصلي البيئة العربية المعاشة، كانت تعاريفها واضحة ومحدّدة، إلاّ أنّها تختلف عمّا هي عليه في العصر الحديث من حيث الدّلالة عليها في رحلة الإستكشاف في الدّراسات المطبّقة عليها.

---

(1) لحسن دحو: مقال: "كاريزما المصطلح النقدي-تأملات في الوعي النقدي وصياغة المفهوم"، مجلة "المخبر"، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع7، 2010م، ص212.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 213.

الفصل الأول

المصطلح والمصطلح النقدي

(تعريفات ووظائف)

المبحث الأول: تعريف المصطلح والمصطلح النقدي.

كان للمصطلح، والمصطلح النّقدي قبل تبلور مفهومهما في الدّراسات العربيّة الحديثة، والمعاصرة، إرهاصات تشكّلت انطلاقا من عناية القدماء، واهتمامهم بالقضايا المحيطة بهم، وبواقعهم، فقد أشاروا إلى مفهوم المصطلح في معاجمهم، كما استعملوا لفظ مصطلح في كتبهم، كذلك مارسوا النّقد وأشاروا إلى مفهومه، ثمّ جاء تعبير المصطلح النّقدي بعدها.

1-تعريف المصطلح:

أ-لغة:

ينحدر المصطلح في اللّغة من الجذر اللّغوي: (صَلَحَ)، إذ ورد في المعاجم اللّغوية بصيغ عديدة منها:

-صَلَحَ، الصَّلاح: ضدّ الفسادِ، صَلَحَ يَصْلَحُ، ويَصْلُحُ صَلاَحاً وصُلُوحاً، وأنشد أبو زيد:

فَكَيْفَ بَأَطْرَافِي إذا ما شَتَمَتْنِي؟ وما بَعْدَ شَتْمِ الوَالِدَيِن صَلُوحُ

وهو صَالِحُ وصَلِيحُ الأخيرة عن ابن الأعرابي، والجمع صُلَحَاءٌ وصُلُوحُ، وصَلُحَ: كَصَلَحَ قال ابن دريد: وليس صَلُح بثبت، وهذا الشيء يصلُح لك أي هو من بابتِكَ.

والإصلاح: نقيض الإفساد، والمصْلَحة: الصَّلاَحُ والمِصْلَحة واحدة المصالح.

وأصْلَحَ الشيء بعد فساده: أقامه.

والصُلْح: تصالح القوم بينهم.

والصُلْح: السّلم: وقد اصْطلحوا، وصالحوا، واصّلحوا وتصالحوا، واصَّالحوا مشدّدة الصّاد، قلبوا التّاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد.(1)

وفي المعجم الوسيط:

"(صَلَح) -صَلَاحاً، وصُلوحاً أي: زال عنه الفساد- كما أنّ الشّيء: إذا كان نافعا أو مناسبا- تقول إنّه يصلُح لك.

و(صَلُح) – صَلاحاً وصلُوحاً: صَلَحَ فهو صليح.

(أَصْلَحَ) في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح ونافعُ -و- الشيء أزال فساده...، وفي التنزيل العزيز: { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما }. الحجرات /09.

وصالحه مصَالحة، وصلاحاً، سالَمَهُ، وصافاه، ويقال صَالحَهُ على الشيء سلك معه مسلك المسالمة والإتّفاق.

أصْلَح القوم: زال ما بينهم من خلاف، وعلى الأمر تعارفوا علية واتفقوا، ومنه الاصطلاح الذي هو: مصدر

(1) جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 2000م، ج8، مادة [صَلَحَ]، ص 267.

اصطَلَحَ-و- اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكلّ علم اصطلاحاته"[1]

ب-اصطلاحا:

ورد في كتاب "التعريفات" للجرجاني أنّ الاصطلاح: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل.

أو هو: إخراج اللّفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.

كما قيل أنّه: اتفاق طائفة على وضع اللّفظ بإزاء المعنى.

وهو كذلك: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

وقيل: الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معيّنين."[2]

هذا وقد عرّفه أبو البقاء الكفوي (ت 1034هـ) في كتابه "الكلّيات" أنّه: اتّفاق القوم على وضع الشّيء،مع إخراجه عن المعنى اللّغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.[3]

و الملاحظ هنا أنّ المعنى اللّغوي يدور حول الاتّفاق والصّلح والسلام، وكل ما من شأنه إزالة الفساد وإصلاح الخلاف.

أمّا المعنى الاصطلاحي فيتمحور حول الاتّفاق على تسمية الشّيء بعد نقله عن موضعه الأوّل، والمناسبة بين معنى اللّفظ اللّغوي، والمعنى الذي يوضع فيه.

أضف إلى ذلك فالاصطلاح لفظ خاص، ومعين بين قوم معيّنين ومحدّدين.

أمّا عن تعريف المصطلح عند العرب المحدثين، فيمكن أن نورد آراءهم فيه وهي مختلقة، فنجد "إبراهيم السامرائي" يقول: "أنّ كلمة مصطلح تطلق في أوساط النّاس اليوم ويراد بها المعنى الذي تعارفوا واتّفقوا عليه في استعمالهم اللّغوي الخاص، أو في أغراضهم الاجتماعية حتى يصبح مألوفا"[4]

أمّا "ممدوح خسارة" فقد خلص إلى أنّ "المصطلح هو لفظ منقول من معناه اللّغوي إلى معنى آخر، متّفق عليه بين طائفة منصوصة، فاللّفظية، ونقل المعنى، والاتّفاق هي أهم أركان المصطلح.[5]

و به نُقِلَ عن "محمد عنّاني" أنّه أقرّ بتعريف المصطلح حسب وروده في المعاجم اللّغوية بأنّه: "ما اصطلح عليه الناس، أي اتّفقوا على معناه من ألفاظ أو تعابير في عصر معيّن، وفي مكان معيّن، فلكل مبحث

---

(1) معجم اللّغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005م، مادة [صَلح]، ص 520.

(2) السيّد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، باب[الألف]، الألف مع الصاد والضاد، ص 27.

(3) الكفوي أبو البقاء: الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق الفردية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص 130.

(4) إبراهيم السامرائي: المصطلح الإسلامي، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1990م، ص 8.

(5) محمد ممدوح خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م، ص 14.

مصطلحاته التي يفهمها أصحابه، ويتداولونها بينهم، بل قد يتعذّر ولوج مبحث من المباحث الحديثة دون مصطلحاته."[1]

هذا وقد تحدث الشّاهد البوشيخي عن المصطلحات باعتبارها مفاتيح العلوم قائلا: "أنّها خلاصة البحث في كل عصر ومصر، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطوّرها يتلخّص العلم، ومن البديهي ألاّ تفهم تلك الصّناعة ولا آثار أولئك القوم إلاّ بمعرفة تلك الألفاظ."[2]

وفي الأخير فإنّ هذه التّعاريف لا تخرج عمّا جاء به القدماء من جهة، وما أفرزته المصطلحية الغربيّة من تأثير على الباحثين العرب المحدثين من جهة أخرى.

فالمصطلح في تعريفات الغرب ما هو إلاّ "رمز متّفق عليه ويمثل مفهوماً محدّداً في مجال معرفي خاص."[3]

ثم إنّ التّعريف الذي اعتمدته المنظّمة الدّولية للتّقييس (إيزو) في توصيتها رقم 1087، والصادرة عن اللّجنة التّقنية 37، تقول:" إنّه الرّمز المتّفق عليه للدّلالة على مفهوم، وقد يتكوّن من أصوات مترابطة أو من صور كتابيّة (حروف)، كما قد يكون المصطلح كلمة أو عبارة.

أمّا عن المصطلح التّقني فإنّه يقتصر استعماله أو مضمونه على المختصّين في حقل معيّن."[4]

ثم إنّه بالعودة إلى معجم روبير الفرنسي فالمصطلح "وحدة تسمية تنتمي إلى مجموعة من الكلمات والتّعابير المنتقاة لاستعمالها في معرفة الأشياء، أو كلمة تنتمي إلى معجم خاص، لا يتمّ استعمالها في اللّغة العادية" أمّا معجم لونغمان الإنجليزي فيعرّفه بأنّه " كلمة لها معنى خاص في مجال علمي أو تقني".[5]

وما يلاحظ على هذه التّعاريف أنّها جعلت المصطلح مربوطا بمفهوم محدّد، وبمجال علمي وتقني معيّن كما أنّها ضيّقت استعماله على المختصّين فقط.

2-تعريف المصطلح النّقدي

أ-النّقد لُغَةً:

مارسه العرب القدامى، دون الإشارة إلى استخدام صريح له قبل القرن الثّالث هجري.

فقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور:

"أنّ النّقد هو خلاف النّسيئة، والنّقد والتّنقاد تمييز الدّراهم وإخراج الزّيف منها، حيث أنشد سيبويه:

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى، فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ   نَفْيَ الدَنَانِيرِ تِنْقَادَ الصَّيَارِيفِ.

---

(1) محمد عنّاني: أدبيات المصطلحات الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي-، دار نوبار، القاهرة، ط3، 2003م، ص 6.

(2) الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1990م، ص 13.

(3) انظر: أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية: المرجع السابق، ص 25.

(4) المرجع نفسه، ص 25.

(5) المرجع نفسه، ص25.

وقد نَقَدَهَا يَنْقِدُهَا نَقْداً وانْتَقَدَهَا وتنْقَدَهَا ونَقَدَهَا إيَّاهَا نقداً: أعطاه فانتقدها أي قَبَضَهَا."[1]

وعليه فلفظةُ "النّقد" تستعمل لمعاني مختلفة أوّلها: تمييز الجيّد من الرّديء من الأشياء، وثانيها: ما يدلّ على العيب والانتقاص، قالت العرب: نقدته الحيّة إذا لدغته: ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها.[2]

أمّا في(كتاب العين) "للخليل ابن أحمد الفراهيدي":

فنقد: النّقد: تمييز الدّراهم وإعطاؤكها إنساناً وأخذها.

والإنتقاد والنّقد: ضربُ جَوْزَةٍ بالإصبع لعباً، ويقال: نقد أرنبته بإصبعه إذا ضربها، قال خلف:

وَأَرْنَبَةٌ لَكَ مُحْمَرَّةٌ يَكَادُ يَفْطِّرُهَا نَقْدُهُ.[3]

وفي (مقاييس اللّغة) النون والقاف والدّال.

"نَقَدَ: النُّونَ والقَافَ والدَّال منها أصل صحيح يدلّ على إبراز شيء وبروزة من ذلك: النّقد في الحافر، وهو تقشّره وحافر نقدُ: متقشّر والنقد في الضّرس: تكسّره، وذلك يكون بتكشّف ليطه عنه.

ومن الباب: نَقَدَ الدِّرْهَمَ، وذلك أن يكشف عن حاله في جَوْدَتِهِ أو غَيْرِ ذَلِكَ، وَدِرْهَمٌ نَقْدُ: وَازِنِ جيّد، كأنه قد كَشَفَ عن حالِهِ فعُلِمَ، وتقول العَرَبُ: مَازَالَ فُلانُ يَنْقِدُ الشَّيْءَ إذا لَمْ يزَل يَنْظُر إليه"[4]

هذا وإنّه قد ورد في (المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة):

نَقَدَ نَقْدًا، نقر: "نقد ثماراً"، "نقدَ الحَبَّ"، نقدَ فُتَاتَ خبزٍ// تناول بالدّرس والتّحليل: "نقد كتبا"// ندد، تناول بالهزءِ والسّخرية شخصاً أو مَقَاماً مُحْتَرَماً : "نَقَدَ السّلْطَةَ".

ناقِد: ج نُقّاد: كَاتِبٌ يُعْطِي رَأيهُ في عَمَلٍ أَدَبِيٍّ أو فَنِّيٍّ، يُظْهِرُ العُيُوبَ والمحَاسِنَ، وَيُمَيِّزُ بين الجُيِّدَ والرَّدِيءِ، أو بينَ الصَّحِيحِ والزَّائِفِ، فَهُوَ فَنُّ النَّاقِدِ الذي يُعْطِي رَأْيَهُ فِي عَمَلٍ أَدَبِّيٍ أَوْ فَنِيٍّ.

وَنَاقَدُ فُلاناً: أَيْ نَاقَشَهُ: "نَاقِدُ الأَتْبَاعِ زَعِيمُهُمْ".

وَمِنْهَا اِنْتَقَدَ أَيْ: أَبْدَى رَأْياً شَاحِباً لِأَقْوَالِ الآخَرِينَ أَوْ أَفْعَالِهِم، اِسْتَنْكَرَ، وَاسْتَقْبَحَ مَا قَامُوا بِهِ: "اِنْتَقَدَ سُلُوكاً" //أَظْهَرَ المعَايِبَ وَالشَّوَائِبَ//.

منتقد: من يظهر المساوئ ويغفل المحاسن.

([1]) ابن منظور: المرجع السابق، ج14، مادة [نقد]، ص 334.

([2]) حميد آدم ثويني: منهج النّقد الأدبي عند العرب، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م، ص 11،12.

([3]) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج4، باب [النّون]، ص 255.

([4]) أحمد بن فارس ابن زكريا: مقاييس اللّغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008م، مادة (نقد)، ص 77.

انتقادي: الذي يكون هدفه التّمييز بيْنَ المحَاسِنْ والمسَاوِئْ في مؤلّف أدبيّ أو فنّي: "مُلَاحَظَاتٌ اِنْتِقَادِيَّة".[1]
وَعَلَيْهِ فَإِنَّ المِعاجِمَ القَدِيمَةَ والحَدِيثَة تُجْمِعُ عَلَى أَنَّ النَّقْدَ مَا هُوَ إِلاَّ تَقْوِيمٌ للشَّيْءِ وَالحُكْمِ عَلَيْهِ بالحُسَنِ وِالقُبْحِ.

ب-تعريفه اصطلاحا:

النّقد هو فلسفة للأدب، و به يُسْتَعَانُ لتفسير الحقائق التي ينطوي عليها، فهناك تقارب بين مفاهيمه من الناحية الاصطلاحية-وإن اختلفت الصيغة والأسلوب فقط- إمّا من كتاب إلى آخر ،أو من كاتب إلى آخر، وانطلاقا من هذا أدرجنا جملة من التّعريفات وإن كانت كلّها تصبّ في معنى واحد.

فالتعريف الأوّل:

"النّقد في كلمات قليلة هو القدرة على تذوّق الأساليب المختلفة والحكم عليها"[2]

أمّا التّعريف الثاني:

فإنّه في اصطلاح الفنيّين:

"تقدير القطعة الفنيّة، ومعرفة قيمتها، ودرجتها في الفنّ سواء كانت القطعة أدباً، أو تصويراً أو حفراً أو موسيقى".[3]

والتّعريف الثّالث:

"إنّ النّقد تفسير وتقييم وتوجيه للأدب"[4]

فالنّقاد يعرّفون النّقد بوظائفه تعريفاً يحدّدها، ويفصلها عن بعضها البعض، كوسيلة للإيضاح رغم تداخلها الحتمي.
وفي الأخير فإنه يعرّف بأنّه: "فنّ تمييز الأساليب".[5]

والأسلوب غير محصور في التّعبير اللّغوي فقط، كما قال المفكّر الفرنسي "بيفون" في القرن الثّامن عشر في مقولته الشّهيرة: "الأسلوب هو الرّجل ذاته"، وإنّما تعدّاه ليشمل الطّريقة في التّفكير، والحياة، والموقف منها بكلّ ما تحمل من قيم ومعانٍ جمالية.

-ثم إنّ الكلمة "نقد" دخلت في الاستعمال الأدبي في القرن الثّالث هجري، وهي تدلّ على تمييز جيّد الشّعر من رديئه.[6]

([1]) أنطوان غزل، ريمون حرفوش، مأمون الحموي: المنجد في اللّغة العربية المعاصرة، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص1440،1441.

([2]) محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 383.

([3]) أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الفكر العربي للنشر، بيروت، ط4، 1967م، ص 17.

([4]) محمد مندور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2002م، ص 136.

([5]) المرجع نفسه، ص 136.

([6]) محمد كريم الكواز: البلاغة والنّقد، المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، ط1، 2006م، ص 48.

فالعرب اهتمّوا منذ عهد مبكّرة، بأحكام ذوقية أطلقوا عليها إسم "النّقد"، وإن لم تكن لديهم كتب مصنّفة فيه مثل "نقد الشّعر"، لقدامة بن جعفر الذي قال: "أنّ النقد أولى من غيره"، كما كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– إنّه "أنقدُ أهل زمانه للشّعر" لأنه كان عالماً به، في حين أنّ الجاحظ أشاد بجهابذة الألفاظ ونقّاد المعاني.

فالنّقد عملية أدبيّة عُنِيَ به القدماء، وأرجعوا إليه الحكم على الكلام.[1]

وممّا سبق نخلص إلى أنّ النّقد في الاصطلاح هو:

تبيين صفات القبح بنفي التعصّب، وتجريد الهوى، والتّقرب إلى الموضوعية بهدف تقويم العمل الأدبي، والحكم عليه، مع أنّ معايير الحكم تختلف من عصر إلى عصر ومن ناقد إلى ناقد.

ج–تعريف المصطلح النقدي:

إن العناية بما يسمّى بالمصطلح النّقدي، وخاصة في مجال النّقد العربي الحديث، لم تظهر إلاّ في مطلع السبعينيات، إذ أنّ التّعبير به ظهر حديثا عندما بدا الاهتمام بالمصطلح، والبحث المصطلحي عند العرب، ولا شكّ أنّ المصطلح النّقدي هو عمود الخطاب النّقدي لأنّه يقوم عليه، شأنه في ذلك شأن بقيّة المصطلحات في شتّى حقول المعرفة.

وقد أصاب "الخوارزمي" (ت387هـ) عندما أشار إلى أنّ المصطلحات هي "مفاتيح العلوم"، فَوَسَمَ بذلك مصنّفه المعروف إلى يومنا الحالي، هذا وقد ظلّ المصطلح النّقدي على مركزية مفهومه يتفلّت من تحديد المعرّفين ممّن لهم صلة بمكابدة أمره، ومن تأطير الباحثين لِتَبَايُنِ العدّة المعرفية والمنهجية الكافية التي تحيط بمجاله، وبما يتّصل به في السّياقين الدّلالي والتّداولي، وخاصّة إذا كان يَتَوَاشَحُ مع مفاهيم مجاورة أو مماثلة له، من مثل المصطلح البلاغي، فنجد أنّ عبد العزيز الدّسوقي يعرّفه بأنه ذلك: "النّسق الفكري المترابط الذي نبحث من خلاله عملية الإبداع الفنّي ونختبر على ضوئه طبيعة الأعمال الفنيّة، وسيكولوجية مبدعها، والعناصر التي شكّلت ذوقه".[2]

أمّا يوسف وغليسي فيعرّفه بأنّه: " رمز لغوي (مفرد أو مركّب) أحادي الدّلالة، منزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى، يعبّر عن مفهوم نقدي محدّد وواضح، متّفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي أو يرجى منه ذلك".[3]

ويذهب الشاهد البوشيخي إلى أنّ مفهومه حسب السّياق ينبغي أن يكون بأحد المعنيين:

–**المصطلح النقدي**: هو اللّفظ الذي يسمّى مفهوماً معيّناً داخل تخصّص النّقد، ولا يلزم من ذلك أن تكون التّسمية ثابتة في جميع الأعصر، ولا في جميع البيئات و لا لدى جميع الاتّجاهات [...]، بل يكفي مثلا أن يسمّى اللّفظ مفهوما نقديا ما، لدى اتجاه نقدي ما، ليعتبر من ألفاظ ذلك الاتجاه النّقدي، أي مصطلحاته كما أنّه ليس

(1) أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النّقد العربي القديم، المرجع السابق،ص 12،11.

(2) لحسن دحّو: المرجع السابق، ص 210،211.

(3) يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 24.

من الضّرورة أن تنقطع تلك الألفاظ عن معانيها الأوّلية، بل كثيرا ما تظلّ دالّة في نفس الوقت على معناها العادي وعلى معناها العلمي بحسب سياقها من الاستعمال.[1]

ثم إنّه لا يولد بالغا أشدّه سواء وُلد على الطريقة القديمة الطّبيعية، أو على الطّريقة الحديثة في مصحّات توليد المصطلحات، بل يمرّ بمراحل أشار إليها أحد المحدثين بقوله: "إنّ المصطلح يُبْتَكَرُ فَيُوضَعُ ويُبَثُّ ثم يقذف به في حلبة الاستعمال، فإمّا أن يُرَوجَ فَيَثْبُتَ، وإمّا أن يكسُد فيمحى، وقد يدلى بمصطلحين أو أكثر لمتصوّر [أي المفهوم] واحد، فتتسابق المصطلحات الموضوعيّة وتتنافس في سوق الرّواج، ثُمَ يُحْكَمُ الاستعمال لِلْأَقْوَى فَيَسْتَبَقْيِه ويتوارى الأضعف.[2]

وبما أنّه كذلك، فإنّ صدق المصطلحيّة عليه في جميع مراحله أمر بديهي، إلاّ أنّها في مرحلة الرّواج أصدق.

والمصطلح النّقدي: بهذا المعنى كذلك هو الذي يجمع موصوفا أو مضافا فيقال: "مصطلحات نقديّة" كما في دراسة الأستاذ خير الله السّعداني، أو مصطلحات النّقد العربي [...] كما في هذه الدراسة.

-أو في منظور آخر: هو مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصّص النّقد، وبهذا المعنى عُنْوِنَتْ بحوث جامعية متعدّدة: كالمصطلح النّقدي في كتاب "نقد الشّعر لقدامة بن جعفر" و"المصطلح النّقدي في تراث المعتز" و"المصطلح النقدي في تراث أبي بكر الصّولي" وغيرها، وهي كلّها بمعنى مجموع الألفاظ الاصطلاحية المنتمية إلى تخصّص النّقد في ذلك الكتاب أو ذلك التراث"[3]

وفي الأخير فإنّه لا يوجد استعمال ثابت ناجِحٌ لهذا المصطلح سوى أنّه العلم الذي يدرس الظّاهرة الاصطلاحية، بمسائلها ومشاكلها في مجال خاص، وهو مجال النّقد الأدبي.

المبحث الثاني: وظائف المصطلح النّقدي

لما كان المصطلح النّقدي جزءاً من المنظومة المصطلحية، والجهاز المصطلحي ككلّ، كان من الطّبيعي أن تكون وظائفه من وظائف هذا المصطلح.

وبهذا يضطلع بوظائف هي من صميم وظائف العمل الاصطلاحي الذي تمنحه بعدا شموليا من خلال أنواعه وهي كالآتي:

(1) الشاهد البوشيخي: المرجع السابق ، ص 64.

(2) المرجع نفسه، ص 64.

(3) المرجع نفسه، ص 65.

1-الوظيفة اللّسانية: ذلك "أنّ الفعل الاصطلاحي مناسبة علمية للكشف عن حجم عبقرية اللّغة، ومدى اتّساع جذورها المعجمية، وتعدّد طرائقها الإصطلاحية، وقدرتها في الأخير على استيعاب المفاهيم المتجدّدة في شتّى الإختصاصات".[1]

وكذلك الفعل الإصطلاحي النّقدي، الذي يقوم بنفس الوظيفة "ذلك أنّ المصطلحات ليست قوالب لفظية، أو أ كلمات مصكوكة فحسب، بل هي مستودعات كبرى للمعاني، والدّلالات، وكثيرا ما تتجاوز البناء اللّفظي، وتتخطّى الجذر اللّغوي، لتعكس كوامن فلسفة الأمّة، ودفائن تراكمات فكرها، ومعرفتها، وما تستنبطه ذاكرتها المعرفية من خصائص وسمات".[2]

2-الوظيفة المعرفية: المصطلح هو لغة العلم، والمعرفة، ولا يقوم علم دون مصطلحية (مجموعة مصطلحات) وقد أحسن علماؤنا القدامى صنعا حين جعلوا من المصطلحات "مفاتيح العلوم" وأوائل الصناعات.[3]

فالوظيفة المعرفية هي وظيفة فكر، "تتجلّى في قدرة المصطلح على إنتاج المعرفة في مختلف مجالات العلوم الماديّة، والإنسانية، والإجتماعية، وفق ذاتية حضارية".[4]

حيث تساعد المصطلحات في معرفة حقائق الأشياء، وبيان ماهيتها، ولكي يتمكّن المرء من تحديد خصائص العلوم والفنون عليه أن يحدّد -ابتداءً- رسوم هذه العلوم وحدودها، إذ لاشكّ أنّ من لوازم هذه الفنون ومبادئ العلوم الأوّلية مبدأ الحدود: الذي جعله العلماء أحد المبادئ الأساسية في معرفة العلوم والفنون فقيل:

فَاعْلَمْ مَبَادِئَ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَةٌ   الحَدُّ وَالمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةُ.[5]

و عليه فلا عجب أن يمثّل أحد الباحثين منزلة المصطلح من العلم بمنزلة الجهاز العصبي من الكائن الحيّ عليه يقوم وجوده، و به يتيسّر بقاؤه. إذ إنّ المصطلح تراكم مقولي يكتنز وحده نظريات العلم وأطروحاته. ذلك أنّ

([1]) يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 42.

([2]) عادل سالم عطية: دراسة بعنوان:"تحديد المصطلح ينهي الاضطراب الفكري والفوضى المعرفية"، شبكة الألوكة، ع 2392، كلية دار العلوم، جامعة الفيّوم، مصر، ص 17.

([3]) انظر: يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 42.

([4]) لحسن دحو: المرجع السابق، ص 214.

([5]) انظر: عادل سالم عطبة: المرجع السابق، ص 11.

العلم من منظور بعض الباحثين ليس في نهاية أمره سوى مصطلحات أحسن إنجازها. فكان من الصّعب أن نتصوّر علماً قائماً دون جهاز اصطلاحي.(1)

ومن ذلك المصطلح النّقدي، الذي من غير الممكن أن نتصوّر دراسة نقدية دون وجود لمصطلحاته تنتمي إلى مجال النّقد، وتؤدّي وظيفتها في تحقيق الدّراسة النّقدية أو العملية النّقدية ككلّ.

فكما أنّه إذا لم يتوفّر للعلم مصطلحه العلمي الذي يعد مفتاحه فقد هذا العلم مسوّغه، و تعطّلت وظيفته، و كذلك الحال بالنسبة للنقد، فإذا لم يتوفّر مصطلح نقدي فقدت الدراسة و العملية النقدية مسوّغاتها وتعطّلت وظيفتها، و من المعروف أنه يعيّن مفهومها معيّنا داخل تخصّص النّقد، فكان للمصطلح النقدي وظيفته المعرفية، و المناط من ورائها جمع الألفاظ الاصطلاحية لتخصّص النّقد، و تقديم جهاز تحليلي للنّقد، فيحقق بذلك المصطلح النقدي وظيفته المعرفية.

3- الوظيفة التواصلية: تتمثل في: "كون الجهاز الاصطلاحي يوفّر مادة غنية هي بمثابة الجسر الواصل بين الباحث، و مجال بحثه فكما أنّ لكل مجتمع لغته، بل شفرته التي تمكّن أفراده من تحقيق التكيّف الاجتماعي، فإن لكل علم مصطلحاته الخاصة به، و التي لا يمكن ولوجه، و لا فهمه إلاّ من خلالها.(2)

هذا و إنّ أي مصطلح ما هو إلاّ مفتاح العلم، و هو كذلك أبجديّة التّواصل و نقطة الضّوء الوحيدة التي تضيء النّص حينما تتشابك خيوط الظلام، و بدونه يغدوا الفكر كرجل أعمى، في حجرة مظلمة، يبحث عن قطة سوداء لا وجود لها كما يقول المثل الإنجليزي.(3)

فتعمّد الحديث في أي فن معرفي، يتجنّب أدواته الاصطلاحية يعدّ ضربا من التشويه لا يُتغاض عنه، على أن هذه اللّغة الاصطلاحية من شأنها أن تفقد فاعليتها التواصلية خارج سياق أهل ذلك الإختصاص، فهي إذن لغة نخبوية لا مسوّغ لاستعمالها مع عامّة الناس الذين لا يستطيعون إليها سبيلا.(4)

(1) انظر: يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 42.

(2) نجيب ربيعي: دراسات في حركة المصطلح النّقدي، مصطلح "النّص" في كتاب: نظرية النّص لحسين خمري أنموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة، كلية الآداب واللّغات، 2011،2012،ص11.

(3) انظر: يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 42،43.

(4) يوسف وعليسي: المرجع السابق، ص 43.

و الحال كذلك مع اللّغة الاصطلاحية النقدية، فإنها إن خرجت من مجال النّقد، فإنّها تفقد فاعليتها التّواصلية، فضمان الوظيفة التّواصلية يكون داخل ميدان النّقد.

و عليه تعدّ الوظيفة التواصلية «وظيفة قيم تتجسّد فيما تستنبطه المصطلحات من قيم ضمنية أو صريحة إلى جوار ما تقدّمه من معارف».[1]

"فالمصطلح هو المعبّر عن هويّة الأمّة، و ذاتها، و هو اللّفظ الذي يتّفق عليه المفكّرون ليدلّوا به على شيء محدود، و يميّزوا به معاني الأشياء بعضها عن بعض، و هو سمة بارزة في لغة المتعلّمين، حيث يعتبر لغة التفاهم بين المفكّرين، و وسيلة التعبير عن الرؤى، و الأفكار التواصلية".[2]

4-الوظيفة الاقتصادية: حيث يقوم الفعل الاصطلاحي بوظيفة اقتصادية، لها أهمّية كبيرة، حيث تمكّننا من تخزين كمّ معرفي هائل في وحدات مصطلحية محدودة، و التّعبير بحدود لغوية قليلة عن مفاهيم معرفية كثيرة، و تكمن قيمة هذه العملية فيما توفّره من اقتصاد في الجهد، و اللّغة و الوقت ممّا يجعل من المصطلح سلاحًا لمواجهة الزمن يستهدف التغلب عليه و التحكم فيه.[3]

وهذا ما ينطبق على المصطلح النقدي.

5-الوظيفة الحضارية: فلعلّ "اللّغة الاصطلاحية لغة عالمية بامتياز إنّها ملتقى الثقافات الإنسانية، و هي الجسر الحضاري الذي يربط لغات العالم بعضها ببعض".[4]

"فليست المصطلحات قوالب لفظية أو أسماء ، أو كلمات مصكوكة فحسب، بل مستودعات كبرى للمعاني، و الدلالات كثيرا ما تتجاوز البناء اللّفظي، و تتخطى الجذر اللّغوي،لتعكس كوامن فلسفة الأمّة و دفائن تراكمات فكرها، و معرفتها، وما استنبطته ذاكرتها المعرفية من خصائص و سمات".[5]

([1]) لحسن دحو: المرجع السابق، ص 214.

([2]) عادل سالم عطية: المرجع السابق، ص 18.

([3]) انظر:يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 44.

([4]) المرجع نفسه، ص 44.

([5]) عادل سالم عطية: المرجع السابق، ص 17.

و لأنّ هذه الوظيفة هي "وظيفة لغة فإنّها تنعكس في قدرتها على جعل المصطلح نظاما يقف من خلفه نظام الحضارة التي ينطق باسمها، ويحمل خصوصيتها".[1]

و قد يظن البعض–و ذلك عند النظرة العابرة – أنّ المصطلح مدخل يرفع كثافة الألفاظ في ثروة اللّسان لكنّه عند الحقيقة تاريخ يلخّص عمل العقل، و تراكم المعرفة، و وفرة التّطبيق و التجريب، و حصاد الحضارة، في أزمة سحيقة، و متفاوتة ثم إنّ وظيفة المصطلح ككل، و المصطلح النقدي كونه ينتمي إلى اللّغة الاصطلاحية تتجلّى خصوصا في آلية «الاقتراض»(emprunt) و التي لا غنى لأيّة لغة عنها، و تقترض اللّغات من بعضها البعض صفات صوتية، تظلّ شاهدة على الحضور التاريخي و المعرفي و الحضاري للغة ما في نسيج لغة أخرى، وبفعل الاقتراض، تتحوّل بعض المصطلحات إلى كلمات «دوليّة»(Internationaux)، يصعب احتكارها من طرف لغة ما، كما يصعب أن تنسب إلى لغة بذاتها، فيتحوّل المصطلح إلى وسيلة لغوية و ثقافية تغذّي التقارب الحضاري بين الأمم المختلفة، حتّى غدى من لغات العولمة.

و عليه و– باختصار مركّز — إنّ المصطلح هو لغة العولمة؟!

و إنه ليس كالعلوم جسور تمتد بين الأقوام و حضارتهم، لذلك عدت المصطلحات العلميّة سفراء الألسنة بعضها إلى بعض.[2]

و من خلال هذا كلّه يمكن القول أنّ وظائف المصطلح النقدي هي من وظائف المصطلح، و هذه الوظائف كلّما أدّت دورها كما ينبغي كلّما كانت لها القيمة المرجوة من ورائها.

و بالتّالي يحقق المصطلح النقدي وجوده ضمن المنظومة المصطلحية، و الساحة النقدية.

([1]) لحسن دحو: المرجع السابق، ص 214.

([2]) يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 44،45.

الفصل الثاني:

إشكالات وحلول المصطلح النقدي

المبحث الأول: إشكالات المصطلح النقدي:

تعتبر مشكلة المصطلح النّقدي من أهم ما يعترض طريق النّاقد، ذلك أنّ له أسساً علميّة، وشحنات ثقافية خاصّة به، وبالتّالي فإنّ عدم الالتزام بهذه الأسس، وانعدام إستراتيجية معرفية واضحة تقوّمها من جهة إضافة إلى عدم تكيّف المصطلح مع البيئة الثّقافية، والمعرفية التي يستعمل فيها من جهة أخرى، يؤدّي إلى إشكالات متعددّة، أضف إلى ذلك عدم المعرفة بإرهاصاته، وتناثره في كتب التّراث العربي الضّخم، و "من أهم المشكلات التي تقف أمام محاولة تقنين، وضبط المصطلح النّقدي العربي تناثر المصطلحات النّقدية داخل الدّراسة التّطبيقية، ممّا يحتاج إلى أناة، وتمهّل حتى يمكن جمع شتات تلك المصطلحات، فهناك مسافة ما بين (عنوان المؤلّف) و (محتواه)، تسمح بدخول قضايا أخرى، فالموازنة مثلا تتجاوز الشّاعرين أبي تمّام، والبحتري، لتثير قضايا أو مصطلحات، وكذلك الوساطة فهي تتجاوز (المتنبّي) لقضايا أخرى، ومن ثمّ تنبثق مصطلحات جديدة".[1]

فمشكلته إذن مشكلة مزدوجة، سواء من ناحية التّراث العربيّ الضّخم، مع صعوبة الإلمام بكل هذه المصطلحات النّقدية الموجودة فيه، أو من ناحية المصطلحات النّقدية القادمة من ثقافة الآخر، أي من البيئة النّقدية الغربيّة، وعليه فالإشكالية هنا "نابعة أصلا من كونه حصيلة لقوى جذب وطرد، إذ نجد له جذوراً تراثية نقدية، بلاغية، وفلسفية تربطه بالموروث إلى جانب أنّه يتطلّع إلى المفاهيم النّقدية الآتية من الثّقافة الغربيّة، وبالتّالي نشأ صراع بين الاتّجاهين، حيث يحاول كل منهما جعل مصطلحاته هي التي تسود".[2]

هذا وقد حدّد الدّارسون عدّة إشكالات للمُصطلح النّقدي تتراوح ما بين إشكالاته عند القدامى كالمحدثين إلى العصر المعاصر حيث تتأزّم هذه الإشكالات، وتتضاعف، وتتمحور أساساً حول الاضطراب في استخدام المصطلح، مع مشكلة المعجم، كما يردّها البعض الآخر إلى غياب التّنسيق بين النّقدة والباحثين، وعدم التّوفيق بين رؤاهم، "ولعلّ مردّ ذلك إلى تعدّد واضعي المصطلح، واختلاف مناهلهم، وثقافتهم، وكذا تمايز مصادر البيئة المعرفية الأولى التي انبجس من خلالها هذا المصطلح أو ذاك، واللّغة الأصلية التي وُضع بها أوّل مرة."[3]

(1) رجاء عيد: المرجع السابق، ص7.

(2) انظر: صليحة إمدوشن: "توظيف المصطلح التراثي في ترجمة النّقد السيميائي"، مذكرة ماجستير، لغة وأدب عربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2012م، ص 12.

(3) محمد الأمين خلاّدي: مقال "ترجمة المصطلح النّقدي وآليات انجازها"، الجامعة الإفريقية، العقيد أحمد دراية، أدرار، ص 58.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أنّ "كثيرا من المصطلحات يتخفّى في تشكّلات يصعب تحديدها تحديداً جازماً بعيداً عن اللّبس، ومعروف أنّ الغلبة للاستخدام المجازي بعد انفصاله عن الدّلالة اللّغوية، ممّا يؤدي إلى اللّبس، والتّداخل، والاضطراب، وقد يحمل المصطلح ذاته دلالتين مختلفتين بينهما تباين وتفارق."[1]

تنشأ بذلك الإشكالية الأولى فيه، كونه ينتقل من دلالة إلى أخرى، وبالتّالي تتعدّد دلالاته فيحدث اللّبس، التداخل، والاضطراب.

كما ضاعف من الإشكال في المصطلح النّقدي العربي، تعدّد المدارس النّقدية، واختلاف المناهل الفكرية، وكذا تباعد التّيارات الأدبية واللّغوية، ممّا أثار كثيرا من الجدل، والشّقاق، والاختلاف، والخلاف بين المختصّين أنفسهم.[2]

وبناءا على هذا يمكن تحديد جملة من الإشكالات تتراوح بين ما هو كائن في التّراث، وما هو آتٍ من تعامل النّقاد العرب مع النّقد الغربي ومن أهمّها ما يلي:

مشكلة المعجم وقلّة عطائه بسبب افتقادنا للمعجم التّاريخي:

-الخلط في بعض المعاجم بين المعنى الحرفي والمجازي.

-فقد التّتبع لتنقلات المصطلح من الدّلالة المعجمية إلى الدّلالة النّقدية.

مشكلة الاضطراب في استخدام المصطلح:

فتختلف دلالته حين يُستعمل مُفردا، وحين يستعمل جمعاً، بل وحين يرد بصورة المصدر، وحين يُضاف مثل: التكلّف (متكلّفة النّسج)، ومثل: الصّناعة والصّنعة والمصنوع.

وهناك مصطلحات أخرى قد تكون أشدّ اضطرابا من غيرها مثل "الطّبع" و"الصّنعة" و"ثلاثية ابن سلاّم": الشّعر المصنوع، المفتعل-الموضوع.

ولعلّ أبرز صور الاضطراب ما يندرج تحت مصطلح "عمود الشّعر" وكذلك ما يندرج تحت مصطلح "مفهوم المعنى".

---

(1) رجاء عيد: المرجع السابق، ص 7.

(2) محمد الأمين خلادي: المرجع السابق، ص 5.

فالأوّل عُرف في النّقد القديم، وشغل أهله، فكان من بين أبرز المصطلحات التي اضطربت وكثر التداخل بها، على الرّغم من كثرة الضّجيج الذي أثاره هذا المصطلح والذي شغل الأمدي في موازنته.

أمّا الثاني "فقد ظلّ في حالة التباس، إذ قد يعني بنية التّركيب اللّغوي، وما تفرزه من دلالات، أو بما تتولّاه من أثر وتأثير، يُنافس وظيفة المجاز" بأدواته المختلفة.[1]

مشكلة الفوضى في استخدام المصطلح:

-وخاصيّة الفوضى التي يعيشها التّأليف، والتّرجمة، فممّا زادها خللا واضطرابا.

اختلاف ثقافة المؤلفين أو الباحثين الذين كانوا ثلاثة أنواع: أوّلهم: ذو ثقافة أجنبيّة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده باللّغة الأجنبية.

ثانيهم: ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده باللّغة العربية.

أمّا ثالثهم: فهو ذو ثقافة عربيّة يأخذ من كل فنّ بطرف.[2]

فهذا الاختلاف في لون الثقافة، وطريق تحصيلها، جعل من يقرأ باللّغة الأجنبية يأخذ مصطلحاته عن اللّغة التي يعرفها.

فيقع الاختلاف والتّفاوت، كما حصل بين المغرب والمشرق العربي، أمّا ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات، فكان أمره أكثر اضطرابا، ومثله مثل ذو الثقافة العربية الذي لم تتّضح رؤيته أمامه بعد، ولم يستطع أن يوازن بين ما كان موجودا، وما يفرضه الواقع الجديد، والصّنفان الأخيران في حيرة، لأنهما يتأرجحان ما بين المصطلحات العربيّة والأجنبيّة.

ولن يكون هناك مصطلح عربي، ما لم يتوفّر عليه رجال يحملون الثّقافة العربيّة، والأجنبيّة، ممّا يجعلهم قادرين على القول الفصل، وصادرين عن أصالة، وتفكير عميق في وضع المصطلحات.[3]

([1]) انظر: رجاء عيد: المرجع السابق ، ص من 8 إلى 10.

([2]) انظر: أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النّقد العربي القديم، المرجع السابق، ص 10.

([3]) المرجع نفسه، ص 10.

أمّا المشكلة الأساسية التي يعاني منها النّقد العربي المعاصر، فهي مشكلة تابعية النّقد العربي للنّقد الغربي.

ولعلّها أخطر المشكلات على المصطلح النّقدي العربي، وهي الأساس فيها، وذلك راجع إلى اعتماد النّقد العربي في كثير من موضوعاته على المصادر والمراجع الغربيّة، في تلقّيه للمصطلح النّقدي، وتشكيل مفهومه وأدواته النّقدية والإجرائية.

وممّا زاد الأمر تعقيدا هو اختلاف النّقاد العرب أنفسهم في مفهومهم للمصطلح، وذلك لاختلاف ثقافتهم ومذهبهم النّقدي.[1]

وهذا ما أدّى بالنّقد العربي المعاصر أن يعيش حالة من الإغتراب، والانقطاع عن جذوره لأنّ معظمه مستمدّ من جذور غربيّة النّشأة، نتيجة لتبعيّة النّقدية التي تكشف عن تأثّر الكثير من النّقاد العرب بالغرب وانفصالهم عن التّراث النّقدي العربي القديم، ممّا أفقد الإبداع الذّاتي ميزته من باطن النّصوص".[2]

وعليه نستطيع القول : أنّ أخذ المصطلحات من بيئة غربيّة من شأنه أن يضاعف فعلا من الإشكالات خاصة إذا ما وضعنا بعين الاعتبار:

1-اختلاف الأوروبيّين أنفسهم في المصطلح، ونظرتهم إليه تبعا لثقافتهم الخاصّة، أو من خلال مذهبهم الأدبي والنّقدي، ويتجلّى ذلك من خلال مصطلح "الصّورة"، فهي عند العرب غيرها عند الغربيّين، وهي عند الرومانسيّين تمثل المشاعر، والأفكار الذّاتية، وعند البرناسيّين تعرض الموضوعية، وتنقل المحسوس إلى عالم الوعي الباطني عند الرّمزيّين، وعند السّرياليين تعنى بالدّلالة النّفسية، وعند غيرهم "رسم قوامه الكلمات"...

2-الاشتراك اللّفظي في اللّغة المنقول عنها مع اختلاف المترجمين عن اللّغات المختلفة، ذلك أنّ الاشتراك اللّفظي هو دلالة المصطلح الواحد على عدّة أشياء، ومن ذلك التّضمين، ومعانيه الاصطلاحية المختلفة.[3]

ومن الخطأ والخروج عن الصّواب، أن يتهافت الكثير من النّقاد العرب إلى نقل الكلمات مجرّدة من سياقاتها باعتبارها مجرد مصطلحات، ثم إسقاطها في الدّراسات النّقدية ما يُفْقِدُها دلالاتها، ويحوّلها إلى مجرّد

([1]) انظر: منتهى الجراحشة: مقال: "من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة"، مجلة "اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الانسانية"، جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، مج 6، ع2، 2009م، ص 218.

([2]) المرجع نفسه، ص 218.

([3]) انظر: أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النّقد العربي القديم، المرجع السابق، ص 10.

مصطلحات غامضة مبتورة من سياقها، ويجعلها عقيمة ليس لها رؤية واضحة، ممّا يحرّم على المتلقي أن يحدّد معناها الدّقيق.[1]

وحتى يكون التّراث النّقدي العربي حاضرا في وعينا، وقبل الخوض في تعليلات النّقاد المحدثين وتخريجاتهم للمسمّيات التي تصل حدّا من الفوضى، والقلق، يُحسن بنا أن نعود إلى تراثنا العربي النّقدي، لنرى كيف أنّ الجاحظ (ت255هـ/869م)، يتحدّث عن أصناف الدّلالات على المعاني، فيجعل الإشارة بعد اللّفظ مباشرة فيقول: "وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ، وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص، ولا تزيد: أوّلها اللّفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمّى نصبة، والنصبة هي الحال الدّالة"، ويقول في موطن آخر في كتابه (البيان والتّبيين): "وعلى قدر وضوح الدّلالة، وصواب الإشارة وحسن الاختصار، ودقّة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلّما كانت الدّلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين، وأنور كان أنفع، وأنجع...".[2]

فبهذا التّرتيب، والتّفصيل نرى كيف أنّ للكلمات دلالاتها الواضحة، وكيف أنّ الجاحظ انتبه إلى تلك اللّمحات النقدية التي اشتهرت بعده، وأخذت في الانتشار، والتّوسع حتى أصبحت عبارة عن نظريات نقدية معترف بها.

ومن الأمثلة التي تبيّن ازدحام الكلمات المنقولة مجرّدة عن سياقاتها في معاجم مصطلحات الأدب والنّقد ما يلي:

أ‒معجم المصطلحات الحديثة لمحمد العناني:

الخطاب(Discourse)، وإطار (Frame)، والنّقد المصمت (criticism)

ب‒كتاب النّقد وأوهام روّاد الحداثة لسمير سعيد الحجازي:

النقد الجديد (nouvellecritique)، والشعرية (نظرية الإبداع) (poétique)، والتشيؤ (reification)...

ج‒معجم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش:

الأدب العام (Littérature General)، والشكل (Forme)، والأدب (littérature).

---

(1) منتهى الحراحشة: المرجع السابق، ص 219.

(2) بسّام قطّوس، محمود درابسة: مقال: "إشكالية المصطلح النّقدي المعاصر السيميولوجيا نموذجا"، مجلة "بناة الأجيال"، ع30، سوريا 1999م ص 66.

د-كتاب الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي:

التجديد(Abstraction)، والفعل(Acte).[1]

ولعلّ هذه الفوضى المنهجية نابعة من آراء انطباعية لم تستقر على منهج واضح المعالم، فنجد أنفسنا نصطدم في هذه الدراسات بظاهرة اجتزاء المفاهيم وإِبْتِسَارِهَا في سياقاتها، دون إخضاعها إلى ترتيب منهجي يمكن أن يتدرّج في التّحليل، ويسند نفسه إلى نسق فلسفي متكامل.

إنّ الذي نجده في هذه الدّراسات هو نشاط يتغاضى عن إدراك دور المصطلحات، والمفاهيم في فضاءاتها المعرفية، والعلمية فالمصطلحات، ومفاهيمها هي رصيد العلم الوحيد الذي يعرف به، ويتمايز من المعارف، والعلوم الأخرى، وإغفال هذا الجانب هو تكريس للفوضى، وتضييع للجهد، وتشتيت للذّهن.[2]

ومن الأمثلة-كذلك- على تسميات المصطلحات الكثيرة بمفهوم واحد: تلك المصطلحات الخاصّة بالنّقد ،والأدب، والشّعر.

-القصّة، القصّة القصيرة جداً، الرّواية الصّغيرة، وكلّها ترجمة للمصطلح الإنجليزي short story.

-الشّعر الحر، الشّعر المنثور، شعر الحداثة، نظم مرسل حر، وكلّها ترجمة لما يسمونه الشّعر الحر (Free Verse).

-الأدب النّسوي، الكتابة النّسوية، الكتابة الأنثوية، النّص النّسوي....

-الرّومانسية، الرومانتيكية...، وهي ترجمات للمصطلح الغربي (Romanticism)، الذي ابتدعه الكاتب الفرنسي شندال (1783-1842)، في مبحثيه المسميين: راسين وشكسبير.

-التّفكيكية، التّقويضية، التّشريخ...، وكلّها ترجمات للمصطلح الغربي (Deconstruction).[3]

وغيرها من المصطلحات الخاصّة بالأدب، والنّقد، والشّعر التي استعملت بتسميات عديدة.

([1]) انظر: منتهى الحراحشة: المرجع السابق، ص 219،220.

([2]) انظر: نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2010م، ص 46.

([3]) انظر: منتهى الحراحشة: المرجع السابق، ص 205،206.

-المصطلحات الخاصة بالنّص الأدبي:

النّص، البناء، النّظم، الإبداع اللّغوي، معادل موضوعي...

مصطلحات تتعلق بالأديب:

الأديب، المبدع، المحاك، المخيّل، المرسل، النّاص، السّارد...

مصطلحات تتعلق بالمتلقّي:

القارئ، المستهلك، الجمهور القارئ، المتذوّق، المرسل إليه...

مصطلحات خاصة بالقضايا النّقدية:

اللّفظ والمعنى، الشّكل والمضمون، الأداء والتّشكيل، الصّورة، (المادة، الشّكل والأداة...الخ)

مصطلحات خاصة بالدّراسات النّقدية:

ونجدها في الكثير من الدّراسات النّقدية العربيّة المترجمة من مثل التّرجمة العراقية "التّحليل البنيوي للقصّة القصيرة" 1986م لنزار صبري، والترجمة اللّبنانية "مدخل إلى تحليل السّرد بنيويا" 1988م للناقل اللّبناني أنطوان أبو زيد، والترجمة المغربية "مدخل إلى التحليل البنيوي للسّرد" لقمري بحراوي عقاد، وكلّها ترجمات للنّص الغربي:

(A l’analyse structurale du texte introduction).[1]

والمشكلة الأخرى المتوازية مع مشكلة تعدّد تسميات المصطلح الواحد، هي مشكلة استخدام المصطلح الواحد للدّلالة على عدة مفاهيم، "وهي ظاهرة منتشرة في الدّراسات النّقدية الحديثة أدّت إلى فوضى في الآراء النّقدية وتنافر فيها، وتضارب، لأنّ النّاقد يغرِفُ من هنا ومن هناك، وتتزاحم المصطلحات الروسية، والإنجليزية

(1) المرجع السابق، ص من 207 إلى 209.

والفرنسية، والألمانية، من غير هدف لإظهار الاطّلاع، وهذا لا يخدم العملية الإبداعيّة النّقدية، ولا يؤدّي إلى تطوّرها ،بل يحدث تغييرا سلبيا في مدلولات المصطلح النقدي ومفاهيمه".[1]

ويمكننا الوقوف على عدد من المصطلحات، لبيان التعددية في اشتراك المصطلح الواحد من مثل المصطلحات الآتية:

(الشعر الحر، والقصة، والرواية، والأسلوبية، والشعرية)

مصطلح الشّعر الحرّ:

يعيش المصطلح النّقدي حركة تخبّط جرّاء الفوضى التي يعانيها من التّعريفات التّجريبية، والمرادفات المختلفة المطلقة عليها وفقا لعملية النّقل عن الأصل الغربي، وهذا ما يدلّ على الاضطراب الواسع في مجال مصطلح الشّعر الحر، والذي أثار جدلا، ونقاشا واسعين لالتباس دلالته عند الدّارسين، واستخدامه للدّلالة على عدّة أشياء، فقد عُرف "بالشّعر الخالي من الوزن، والقافية، والمحافظة على نسق البيت"، كما عرف عند بعض النّقاد "بالشّعر الموزون المقفى دونما ترتيب الذي يتفاوت عدد التفعيلات في أبياته بالشّعر الحر...".

وربّما كان تحرّر الشّعر الحر وتمرّده على الشعر الملتزم باعتباره ولادة جديد للشعر التقليدي الملتزم بتمرّده على الوزن والقافية، ما أعطى النقاد فسحة واسعة لوضع عديد التّعريفات، كانت بمثابة منفذ لهم للتّبرير، والتّحرير وتعديل صياغته ودلالته، ومنه يتمحور المصطلح النّقدي وتتعدّد مفاهيمه ودلالته لعدم شيوعه، واستقراره، ممّا أدّى إلى اضطراب في دلالته ومعطياته واستخدامه وتداوله.[2]

ومنه كانت التسمية "الشّعر الحر" انطلاقا من التّحرر من الوزن والقافية، وتعدّدت تعريفاته تبعا للفسحة والحرية المتاحة أمام النقاد للتّعبير وإبداء الرّأي، ومنه تعدّدت المفاهيم، وأدّت إلى تعدّد التّسميات والاستخدامات.

([1]) انظر: منتهى الحراحشة: المرجع السابق، ص209.

([2]) المرجع نفسه، ص،209،210.

مصطلح القصّة القصيرة:

القصة لون من ألوان الأدب الحديث، وله خصائص ومميّزات شكلية معيّنة، تعددّت دلالاتها وانتشرت دون أن تترسّخ و تستقّر، واستخدمها النّقاد والباحثون للدّلالة على عدّة مفاهيم منها:

"أنّها سرد مكتوب أو شفوي يدور حول أحداث معيّنة"، وهي أيضا "قول لغوي ينبني عالمه بتقنيات خاصة وتعرضها ثانية"، و"نموذج فني يتّصل بكثير ممّا يهم النّاس ممّا قد يضمّنه الفنّان عمله"، كما أنّها "فن قولي إدرامي"، و"مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، تتناول حادثة واحدة، أو حوادث عدّة تتعلّق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرّفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة النّاس على وجه الأرض ويكون نصيبها في القصّة متفاوتا من حيث التّأثر والتّأثير".[1]

مصطلح الرّواية:

على الرّغم من الخلط بين مصطلحي الرّواية والقصّة القصيرة، باعتبار كليهما يجسّدان قصّة، فقد تعدّدت مفاهيم كل منهما فالرّواية "سرد نثري خيالي طويل عادة، تجتمع فيه عدّة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية النّسبية باختلاف نوع الرّواية"، وهي لا تعبّر عن الحقيقة، بل تعبر عن نفسها، وهذا كاف فالفنّ لا يحاكي ولا يعلّم إنّه ببساطة يوجد...

ويقدّم لها النّقاد عدّة رؤى "منها أنّها تهذيب الأخلاق وتقديم الحقائق التي تثقف العقل في ثوب أو قالب من القصص وصورة لغوية سردية مكتوبة للفعل البشري وتجسيد رؤية جديدة".[2]

مصطلح الأسلوبية:

عرف عند النّقاد القدماء بالأسلوب، وهو عند عبد القاهر الجرجاني "الضرب من النظم والطّريقة فيه"...لكن التّسمية تغيّرت في الدّراسات الحديثة إلى "الأسلوبيّة" أو "علم الأسلوب الحديث" بالاستناد إلى نشأة علم اللّغة الحديث وتطوّره.

[1]انظر: المرجع السابق، ص 212،211.

[2] المرجع نفسه ، ص 212،211.

واستخدم مصطلح الأسلوبيّة في الدّراسات النّقدية الحديثة للدّلالة على عدة معاني منها: "البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب" وهي "منهج من المناهج اللّغوية المستخدمة في دراسة النّصوص الأدبيّة" ونوع من الحوار الدّائم بين القارئ، والكاتب من خلال نصّ معيّن، وهي الإبلاغية التي هي فرع من الألسنية تنتمي إلى أساليب اللّغة...كما أنّها الدّراسة الموضوعية المنظّمة للغة الأثر الأدبي، وأصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها ودلالاتها، وينطوي هذا العلم على الرّبط المنطقي بين ملاحظات النّاقد، ونمط من الملاءمة الموضوعية.[1]

مصطلح الشعرية:

أدّى الصّراع بين النّقاد والمضاربات النّقدية المتلوّنة إلى إيجاد استخدامات متعدّدة لمصطلح الشّعرية، الذي انتهى إلى طريق مسدود، لا يجسّد البحث العلمي ولا المنهج الصّحيح.

وعرفت قديما عند أرسطو باسم الشّعر أو بويطيقا، حيث كان دراسة لقوانين صناعة الشّعر، ومفهومها الغربي مأخوذ من الكلمة اليونانية (potica)، وهي مشتقة من الفعل اليوناني (poiein) ومعناها يعمل أو يضع.

واستخدم مصطلح (بويطيقا) في النّقد العربي القديم للدّلالة على صناعة الشّعر بوجه عام، لأن هذا المصطلح ارتبط بالشعر لذا عُرف عند أرسطو بمعنى المحاكاة، وعند العرب بمعنى تخييل، وعند ابن رشد "ماهية الفن الشّعري"، وعندما ظهرت عند الشّكلانيين الرّوس، أطلقت على الكلام المخصوص بالوزن، والقافية...

وفي الدّراسات النّقدية الحديثة استخدم للدّلالة على عدّة أشياء، منها أنّها تسعى إلى معرفة القوانين العامّة التي تنظّم ولادة كل عمل، وأنّها علم موضوعه الشّعر.[2]

إنّ هذا التّعدّد في التّعريفات، يوضّح لنا حقيقة الإشكال الموجود في استخدام المصطلح بمعنى واحد ليدلّ على معاني متعدّدة وهي مشكلة جوهرية، وحيوية، تُنَمُّ عن فقدان الإبداع، واعتماد الصنعة، حيث تكشف لنا "الدّراسات النّقدية بتشعّبها الواسع، وتعددها، جاهزية المصطلح النقدي، والتسابق في نقله عن النّظريات النّقدية الغربيّة، ولعل ذلك يعود إلى فقدان النّاقد العربي الحديث القدرة على إبداع المصطلح من باطن النصوص بما يتلاءم، وطبيعة النّص المدروس عن طريق النّحت، والتّعريب، والإشتقاق والإستحداث، والإبتكار، والتّوليد

([1]) انظر: المرجع السابق، ص 212،213.

([2]) المرجع نفسه ، ص 213.

بأنواعه اللّفظي والمعنوي، والدّلالي، ممّا دفعه لاعتماد صنعته من جديد في معظم الدّراسات النّقدية، لاعتبار أنّه لا يمكن تصوّر النّقد العربي الحديث تصوّرا سهلا بدون صناعة المصطلح".(1)

وكذلك الإعتماد المطلق على رصيد اللّغة الأخرى في اصطناع المصطلح، دون التّفكير في تهيئة أرضيّة تتضمّن وجود ثقافة اصطلاحية لسانية عربية.

هذا وقد تنبّه الباحث ميلود عبيد منقور إلى إشكالات معرفية وقعت فيها التّرجمة، الأمر الذي أحدث خلطا كبيرا في مسار بعض الكتابات النّقدية، ومن بينها:

استمداد الباحث العربي من النّقد الغربي في المفاهيم النّقدية دفعة واحدة دون أن يعرف، ويفهم مراحل الحركة النقدية الأجنبية، وحيثياتها متجاهلا نشأتها الطّبيعية، ومهتما بما يلائم الإبداع الأدبي، بل إنّ كثيرا من المفاهيم النّقدية التي دخلت إلى السّاحة العربيّة جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبيّة التي تنطبق عليها.(2)

ثم إنّه من خلال هذا يتناسى الدّارس أو النّاقد أنّ المصطلح النّقدي يولد من قاع المجتمع، ويظهر على السطح في شكله الأدبي المراد إبداعه، ليجسد مجموعة من الدّلالات الواضحة التي يمكن أن تقرأ قراءات متنوّعة ومتعدّدة يكتشفها الدّارس وفق أسس منهجية دالّة، مثل: الكلاسيكية والرومانسية، والبنيوية...

كما تفرض الصّنعة في المصطلح التّبعية واتصال آلي مع الغرب مما قتل روح التّحرّر الاصطلاحي العربي، لأنّه إلتزم الصّنعة والافتراضات الفلسفيّة المتحرّرة، والموصولة بآراء أرسطو، وأفقد المصطلح النّقدي هيبته وسط النّزعة الشكلية والتّقليدية، وجعل الثقافة النّقدية العربيّة تابعة لثقافات أخرى في سبيل البحث عن صنعة اصطلاحية غير مألوفة لفهم حيوية النقد العربي.(3)

---

(1)انظر: المرجع السابق، ص 213.

(2) عبد الرشيد هميسي: "إشكالية توظيف المصطلح النقدي السميائي في الخطاب النّقدي العربي المعاصر"، مذكرة ماجستير، لغة وأدب عربي، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012م، ص 22.

(3)انظر: منتهى الحراحشة: المرجع السابق، ص 213،214.

وقد "وصف يوسف سامي يوسف النّاقد العربي في القرن العشرين، أنّه واحد من اثنين: إمّا أن يكون بغير مصطلح تقريبا، وإمّا أن يتزوّد بجهاز مصطلحي ضخم من المصطلحات المستوردة من الثّقافات الأجنبيّة، وقلّ أن تجد نمطا ثالثا من النّقاد يجمعون بين الخلق وامتلاك المصطلح الخاص".[1]

ولعلّ من أسباب تضارب استعمالات المصطلح: أنّ النّاقد يسعى إلى تكييف النّص الذي يشكّله مع المصطلح الذي يصنعه، ممّا يؤدّي إلى استخدام المصطلحات بصفة نهائية من غير تمييز أو إدراك لما تحدثه الصّنعة من تنافر بين النّص والمصطلح، وهذا ما أوقع النّاقد النّاقل في كثير من المشكلات، مثل:

الخطأ الشائع:

وهي مشكلة أحدثت القلق الواع في الأوساط النّقدية، لما فيها من فوضى في المفهوم، ودلالته، لأنها اكتسبت مصداقية واسعة بفعل الزّمن، ولعلّه من الصّعب على الناقلين أن يبرزوا خطأ السّابقين في عدم قدرتهم على إيجاد مصطلح عربي يوضّح المعنى الدّقيق للمصطلح الأجنبي ودلالاته.

مثل: "مصطلح الشّعر الحر" الذي قوبل "بالشّعر العمود"، وهو خطأ شائع لأنّ الشّعر العمودي قصيدة طويلة ذات شطرين، تقوم على الصّدر ،والعجز ،وفيها "عمودان قائمان لأنّ البيت لا يبنى إلا له عمد"، وتلتزم عدد التّفعيلات، أمّا الشّعر الحر فيعتمد، وحدة التّفعيلة، والقافية دون الإلتزام بعدد التّفعيلات، وهذا شكل جديد من الشّعر الحر يختلف عن الشّعر العمودي بمعناه الدّقيق.[2]

-مصطلح (الإبتداعية) يقابل (الرومانتكية)، والرومانطيقية (الرومانتية):

فالإبتداع هو البدعة، والرّومانسية هي صفة شعرية تهتمّ بالمشاعر الخاصّة والذّاتية للفرد والإهتمام بالطّبيعة والإغراق بها وغيرها من المعاني، ويتعذّر على مصطلح مثل الإبتداعية أن يستوعب كل هذه المعاني التي يحملها مصطلح الرّومانسية.

---

(1) يوسف سامي يوسف: مقال: "النقد العربي ، أفاقه وممكناته، مقالة في الوحدة"، المجلس القومي للثقافة العربية، ع49، السنة الخامسة، النقد والإبداع العربي، 1988م، ص17.

(2) انظر: منتهى الحراحشة: المرجع السابق، ص 214.

-مصطلح (الملهاة) يقابل مصطلح الكوميديا:

فالملهاة رمز الضّحك، والهزل، والسّخرية، والكوميديا رمز الضّحك الباكي لأنّها تكشف عن السّلبيات في سلوك البشر المعيبة، وتنتقدها نقدا لاذعا، ومنه لا تكون وظيفة "الكوميدي" توفير الضّحك واللّهو الرّخيص للمتلقّي، فذلك شأن نوع آخر من الأعمال الدّرامية، هي المهزلة التي تثير الضّحك واللّعب عند المتلقي.

-الدّمج العشوائي للمصطلحات:

وجاءت هذه الطّريقة كمحاولة من النقاد لإخضاع الكلام العربي على النّسق الغربي بطريقة تنفر منها الذّات العربية، وترفضها لأن الصياغة لا تنسجم مع شعرية اللّغة وجماليتها التي عرفها العرب منذ القدم، مثل: "زمانية-مكانية، والزمكانية" أو "السّيرة الذاتية"، أو "السّير الذاتي" أو السّيرة"... الخ.

-اختيار المصطلحات العشوائية والغامضة:

وهذا ما يجعل المتلقي لا يصل مباشرة إلى المعنى الواضح، ولا يلمّ بفكرة محدّدة من مثل:

-أنطولوجي، أو تبيوجرافي، فانتاستيك، سوسيولوجي...الخ

-بروز الفتنة الاصطلاحية:

وهذا ما أحدث تواطؤا واضحا في سياق الحقل المعرفي للنّقد العربي لدرجة تهيمن على الخطاب من قبيل التهجين.[1]

وذلك من غير حرص أو محاولة توخي أدنى درجات المعيارية مثل: استخدام "أوتوبيوغرافيا"، "استستيقي" و"استطيقا"...الخ.

كلّ هذا جعل النّاقد العربي يفقد القدرة على الإبداع ويعتمد الصّنعة، ممّا أصاب المصطلح النّقدي هو الآخر باعتلال وهذا ما أدّى إلى تدهور النّقد العربي.

(1) انظر: المرجع السابق، ص 214،215.

وهناك مشكلة أخرى يعاني منها المصطلح النّقدي وهي ضبابيّة منبع المصطلح النّقدي، وتأتي قبل عمليّة التّرجمة، وهي ناتجة عن التّضخم النّقدي الذي حدث في أوروبا في المنتصف الثاني من القرن العشرين.

وهي إشكالية اصطلاحية تعاني منها معظم الدّراسات النّقدية العالمية، باعتبار أنّ المصطلح لا يزال شيفرة علمية في الدّرجة الأولى تخضع إلى التّرجمة الحرفية الذّاتية، وأنّ المترجم يقوم على ترجمته، وتنكشف هذه القضيّة العالميّة من خلال ضبابيّة الكثير من المصطلحات النّقدية من مثل: مصطلح العلامة (sign)، والمؤشر (index) والأيقونة (icon)، والرمز (symbol).

وكذلك تجلّت ضبابيّة المصطلح في الاتجاه الدّلالي، ويبرز الاضطراب بوضوح في الاصوات الدّالة في الحقل الدّلالي الواحد، مثل: القصة (story)، والقصة القصيرة (short story)، والرّواية القصيرة والرّواية (novel).[1]

ويبقى المصطلح النّقدي العربي –إذن– يعيش حالة من الغربة واللاّهوية، بسبب عدم المقدرة على ضبطه ووضعه في مسار خاص به، حتى وإن تعدّدت الدّعوات التي تدعوا إلى ذلك، ولعلّ إشكالاته تتأزّم يوما بعد يوم في ظلّ العولمة، عكس ما كان عليه سابقا، حين كان العلماء العرب يبدعون انطلاقا من بيئتهم، وانطلاقا من أناهم، وحين كان هدفهم هو التّأليف، فأوجدوا المصطلحات النّقدية ولم يوجدوا المشكلات، أمّا العلماء والباحثون العرب اليوم فكان هدفهم وضع المصطلحات النّقدية، فأوجدوا المشكلات في ظلّ الكم الهائل من المصطلحات المعرّبة والمترجمة، والكلّ يضع ويسمّي على هواه، فظهرت في الساحة النّقدية العربيّة قضيّة إشكالية المصطلح النّقدي.

وعلى الرّغم من الدعوات الآتية من هنا، وهنالك من عديد النّقاد إلى توحيد المصطلح ضمن إطار مؤسسات اصطلاحية موحّدة، إلاّ أنّه مازالت تتردّد في كتب النّقد، والدّراسات الأدبية، وفي الكتب المدرسيّة بخاصة، مجموعة من المصطلحات، وذلك من غير تحديد مفاهيمها، أو تحديد علمي صارم لدلالاتها وأبعادها دون الإشارة إلى الحقول المعرفيّة التي أخذت منها، ومن غير تقديم لمبرّرات التدّاخل بين المفاهيم التي ينتسب كل منها إلى حقل معرفي قائم بذاته، ومن غير تحديد للوظائف التي تقوم بها هذه المصطلحات والمفاهيم في تحليل الخطاب الأدبي.[2]

([1]) انظر: المرجع السابق، ص 216.

([2]) نور الدين السد، المرجع السابق، ص 46.

المبحث الثاني: حلول المصطلح النقدي

لعلّ من أهم الحلول المقترحة إزاء المصطلح النقدي ما يلي:

- ينبغي وضع معجم نقدي محكم، يشارك فيه كل من المعجمين والمؤلفين والأدباء، والنقّاد وأهل التّرجمة، وهو يتم بخطوات منها:

أ–رصد المصطلحات النّقدية العربية، والوقوف على دلالتها وتغيّرها في العهود المختلفة، والأخذ بما ينفع في النّقد الأدبي الحديث، ممّا سيزوّد الباحثين بالكثير من المصطلحات، والمعارف التي ستعينهم في نقد الشعر، وصياغة الكلام وتنوع الأساليب.

وبهذا تكون مجهوداتهم مُثمرة، وفعّالة على الساحة الأدبية، لإعطاء مفردات غنيّة يستعينون بها في مناهجهم ودراستهم، وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب أنّ المصطلح النقدي يخصّ الشّعر وحده، وهذا وهم كبير، كما جاء في "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها" بأجزائه الثلاثة و"معجم النقد العربي القديم"، يُبيّن أنّ المصطلح لم يكن خاصّا بالشّعر، وإنّما شَمِل النّثر بألوانه المعروفة، في ذلك العهد، وتَضمَّن ما يتّصل باللّفظ، والصياغة، والتّصوير، والتّحسين.(1)

- أمّا ما اتّصل باللّفظ فهو الكلام على اللّفظة المفردة، وجرسها وإيحائها، وكلّ ما يجوز منها في النّثر، وكلّ ما يجوز في الاثنين معاً.

وما يتّصل بالصياغة فأُطلق عليه اسم"علم المعاني" أو"النظم" وهو بدوره يتّصل بتحليل العبارة وما تؤدّيه صياغتها أو نظمها من المعاني التي يحدّدها نظم الكلام.

وهناك ما يتّصل بالتصوير، والتّشبيه، والتمثّل، والمجاز بأنواعه، كالعقلي، واللّغوي (الاستعارة، والمجاز المرسل)، والكنَاية، والتّورية، وما يرتبط بها من وسائل الإيضاح، أو الإبهام والغموض.

أمّا مَا يتّصل بالتّحسين فهو ما أدخلوه في "علم البديع" من محسّنات لفظيّة، ومعنوية لا يستغني عنها الكلام، ذلك أنّها تزيده روعة، وجمالاً، إذا وضعت في موضعها.

ومنه فهذه المصطلحات لا تختصّ بالشّعر، كما يظنّ البعض، وإنّما هي عامّة ترفِد النقد الحديث، وتقدّم للنّاقد المعاصر مصطلحاته، فيقوم بتحليلها وتقويمها، ويطلق الأحكام النقديّة عليها.(2)

ب–الالتزام بما تضعه وتقرّه المجامع اللّغوية من قوانين، وموّاد فالمجامع اللّغوية عنيت أوّل ما عنيت بالمصطلحات لأنها مفتاح العلوم والفنون، ومن بين القواعد العامّة لوضع المصطلح تلك التي وضعها المجمع العلمي العراقي، وآخر ما أصدرته لجنة اللّغة العربية، فيما يخص وضع مصطلحات قواعد منها:

---

(1) انظر: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، المصدر السابق، ص11.

(2) المصدر نفسه، ص 11.

-مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللّفظة لغة واصطلاحًا.

-أن يكون للمصطلح الواحد مفهوم علمي واحد، وتجنّب تعدّد دلالته.

-الالتزام بما استعمل أو ما استقرّ قديمًا من مصطلحات علميّة، وعربيّة وهو صالح للاستعمال الجديد، وتجنّب المصطلحات الأجنبية.

-تفضيل اللّفظة المأهولة على النّافرة الوحشيّة، وتفضيل اللّفظة المفردة على المصطلح المركّب.

-عدم الاشتقاق من المصطلح إلاّ بقرار هيئة علميّة متخصّصة بوضع المصطلحات، وتجنّب الألفاظ العاميّة.

-تفضيل مصطلحات التّراث العلمي على غيرها من المولّدة والمحدثة.

-اللّجوء إلى ترجمة المصطلح الأجنبي عندما تثبت دلالته على معناه الاصطلاحي، وتجنّب تعريبها إلاّ إذا تعذّر العثور على لفظ عربي ملائم.[1]

وتضع اللّجنة بعض القرارات التي يجب مراعاتها منها:

-ترجيح أسهل نطق عند رسم الألفاظ المعرّبة عند اختلاف نطقها باللّغات الأعجمية.

-تجنب استعمال السّوابق واللّواحق الأجنبية، واعتمَاد الأساليب العربية في وضع المصطلحات.[2]

وغيرها من القرارات التي تخدم المصطلحات العربية والمصطلح النّقدي.

هذا ويمكننا ضمن حلول المصطلح النقدي إدراج بعض الآليات وردت في مقال لمحمّد الأمين خلادي منها:

أولا: آلية المعجم المفاهيمي المفصّل للجهاز الاصطلاحي الشائع:

وفي هذا الحقل يكون العقلاء على دراية، وعلم، ويقين بتسريع هذا المنجز المهيأ، والمنتشر في الأبحاث، وبين المتلقّين، ويكون بوضع معاجم اصطلاحية تجمع ثم تحص المادّة الموجودة في المصطلحات، وتبسّط في مفاهيم ذلك المصطلح الواحد، مع الترجمة لأنّ عملية البسط تغني المستعمل، والمتلقّي على حدّ سواء في تلك العملية الواضحة، لكي لا يقع اللّبس، والغموض، والتناقض، كحديث الأستاذ فاضل ثامر عن المصطلح الألسني والنّقدي، إذ يقول عن الثاني أنّ الأمور تزداد، وتتعقّد بزيادة المصطلحات النقدية الحديثة التي ولّدها الإنفجار النّقدي في ميدان الشّعرية، ونظرية الأدب منذ السّتينات إلى يومنا هذا.

-فالمصطلح اللّساني يزيد عمره بكثير، ويمتلك أصوله قبيل هذا القرن بزمن بعيد، وهذا لا يعني أنّ النّقد الأدبي لن يكون أفضل ممّا هو عليه في ميدان اللّسانيات.[3]

---

(1) انظر: المصدر السابق، ص 3،4.

(2) المصدر نفسه، ص 4.

(3) محمد الأمين خلادي: المرجع السابق، ص61.

ثانيا: آلية تغليب ما يمليه الخطاب (النص على الناقد في اختيار المصطلح):

يهتم بدراسة وقراءة النص الأدبي فقط، وهذا راجع إلى عدة أسباب كالغموض، والإقحام، واللّبس والإجحاف، وتنحية عن الخط السّليم في عملية الإبداع والتأويل، وأنّ ذخيرة الإبداع النّصي، وهي التي تلهم النّاقد في ضوء حوصلة مفاهيمه التي تتعدّد وتتناقض.

ثالثا: آلية الأولوية في الإدراج الاصطلاحي:

جميل أن يتخيّر المستعمل المصطلحي منظومته المصطلحية تحت إمرة الأولوية حيث يدرج المصطلح الذي تتيسّر ترجمته إلى أغلب اللغات حفاظا على سلامة النّص النّقدي، الذي يمنح قراءة النّص الأدبي مقاربة صحيحة سليمة.

-تعدّ هذه الأولوية جدّ مهمة، وفعّالة في الإدراج الاصطلاحي بالنسبة للمصطلحي لكي يحافظ على لغة النص وسلامتها.[1]

رابعا: آلية التبادل بين المستعملين العرب والغربيين:

ليس الشّرط ترجمة اجتهادات الغربيين (الأخر) وتعريبها لدينا فقط، بل يجب فتح سبقنا إلى إدارة الوجهة الأخرى بترجمتنا الاصطلاحية من العربية إلى اللّغات الأخرى، كي يستوعب غيرنا حركتنا في الاصطلاح، والتّرجمة بغاية إنسانية عالمية هادفة تتخطّى القيود، والحدود، والعصبيات.[2]

خامسا: آلية نقد الترجمة الاصطلاحية:

وبهذا ينتج التّطور الهائل، والتّنمية الدائمة، ومفعولها أثرى مصطلحاتها لأن إعادة التّدقيق، والتوجيه فواعل ترتقي بالتّرجمة إلى مستويات أصلح وأنفع ممّا ذهب إليه الدكتور **ناصف** في ملخص قوله: أنّ المصطلحات في نظره أداة تملكنا، ليس بمقدورنا شيء، وأن نفهم السلطة فقط لأنها هي الطريق الذي نسير عليه، ونفهمه، وكيفية ممارسة ذوب المصطلح، وكيفية تحكمه، وهو بحاجة إلى سياق وأن السياق يحتاج إلى مصطلح، وضرب لنا كلمة **البيان** كمثال: وهي كلمة مشهورة تبلغ حدّ الاصطلاح، ووضعها في حيّز ضيّق قريب إلى الدّلالة الاشتقاقية المبهمة.

-وكل هذا وضعت أيادي المتعاملين مع هاته الدّراسة المترجمة، ووصلت إلى مجموعة من التّوصيات لتنسيق التّرجمة على مستوى الوطن العربي:

1-الاهتمام بالمؤتمرات والنّدوات الثقافية الخاصّة بالمصطلح النّقدي، كمؤتمر الجمعية الطبيّة المصرية المنعقد عام 1938م، الذي دعا إلى توحيد المصطلحات العربية للعلوم الطبيّة، ونصّت المعاهدة الثّقافية بين دول الجامعة على

(1) المرجع السابق، ص 62.

(2) المرجع نفسه، ص62.

توحيد المصطلحات العلمية، وأكّد المؤتمر العلمي الأوّل المنعقد في الإسكندرية عام1953م، على ضرورة توحيد المصطلحات العلمية، وأخذ المؤتمر العلمي الثّاني المنعقد في القاهرة عام 1955م على عاتقه مهمة توحيد التّرجمة العربية للمصطلحات العلمية، وبهذا يحظى المصطلح النّقدي بمكانته الرّفيعة على مستوى المصطلحات.[1]

2-رصد الدّراسات المترجمة، ومسؤولية انتقائها، ومتابعتها، وتدقيقها، وأن تكون جهة رسميّة، وفعّالة على مستوى الوطن العربي مع وجود يد عاملة مع مكتب تنسيق التّعريب في الوطن العربي التّابع للمنظمة العربية للتربية، والثقافة لإعطاء نتائج جد حسنة وقيّمة، فيقوم بإعداد مؤتمرات دورية للتّعريب، والتعاون مع المجامع اللّغوية وإعداد عقد ندوات وحلقات دراسية، وإغناء اللّغة العربية بالمصطلحات الحديثة، والتّوسع في استعمالها للاستعانة بها في جميع أطوار التعليم والتعلّم، بنشر المعاجم المقرّرة من طرف مؤتمر التعريب.

3-ضرورة سعي الجهات المهتمة بدراسة المصطلح النقدي، واللغوي في الأبحاث العلمية المترجمة مسؤولية الإفادة من الدراسة المهتمة بالواقع المصطلحي فتحلّله وتقيّمه، فتطرّق إلى ذلك أحمد مختار عمر في دراسته التي ركزت على إنشاء مركز للمصطلحات الألسنية.

"وحتى يكون المصطلح النّقدي في خدمة اللّغة العربية، والنّهوض بها، والعمل على تطويرها، وجعلها في متناول الإنسانية كافة، وتكون هي كذلك في خدمة المصطلح، لابد من الاهتمام بهذا الأخير، وتوحيده في كافة الجامعات العربية، سواء عند ترجمته أو تعريبه، أو إنشائه من وسطنا الثقافي التراثي، والرّاهن لأنه لا يمكن أن يكون منهج نقدي دون مصطلح أو مصطلحات، يعتمدها للتّفرقة بينه وبين بقيّة المناهج، فلكلّ منهج نقدي مصطلحه الخاص الذي يَنْأَى به، عن التّداخل مع غيره، بالإضافة إلى أنّه الأساس الفعلي في تكوين المعرفة النقدية".[2]

وحتى تضطلع المناهج النّقدية بمهمتها، لابدّ من توحيد المصطلح بين كل الباحثين في كل الجامعات العربية والإسلامية، وكذا الأقطار التي تكون مادة بحثها اللغة العربية، لتحقيق التّواصل، وحتى لا يُصبح كل ناقد عربي يكتب لنفسه لا لغيره، فحاجة الناس إلى التّفاهم، ومعرفة ما يحدث في كل الأقطار هو مَا يَشْغل الباحثين الذين يسعون إلى وضع مصطلح باللّغة التي يبحثون بها، ذلك أنّ المصطلح يفرضه الأديب في إبداعاته، ومنه لابدّ من التّفرقة بين المفهوم والمصطلح، وما يأخذ صيغة الثبات والشيوع.[3]

فعلينا أن نعمل على توحيد مصطلحاتنا التي تعمّها الفوضى، ويلفّها الغموض والاضطراب لأنّ الغرض من توحيد المصطلحات هو تهيئة الأرضية اللّغوية الصّالحة، لوحدة الأمة الفكرية، والاجتماعية، والسياسية.[4]

([1]) المرجع السابق، ص 62.

([2]) إبراهيم صدقة: المرجع السابق، ص 06.

([3]) انظر: المرجع نفسه، ص 09.

([4]) إبراهيم كايد محمود: المرجع السابق، ص 31.

كانت هذه إذن بعض الحلول المقترحة للحد من حالة الفوضى والاضطراب، والتعدّد التي يعيشها المصطلح النّقدي العربي، جاءت تبعا لرؤى الباحثين، وتبعا لمعطيات الساحة النقدية العربية الراهنة.

ويبقى أن يتم الالتزام بالقرارات الصادرة عن مختلف المجامع والهيئات، والاهتمام والأخذ بالدّعوات الآتية من هنا ومن هناك بمحمل الجد، حتى لا تظلّ مجرد دعوات على ورق، أو أن تبقى حبيسة الندوات والمؤتمرات تتوقف بتوقّف المقام الذي قيلت فيه، أو من أجله فلابد من التحرك لوضع إستراتيجية واضحة للمصطلح العربي باعتباره مهمّا في الساحة النقدية العربية والأدبية.

الفصل الثالث:

قراءة في "البيان والتبيين"

التعريف بالجاحظ:

يتبوّأ الجاحظ (ت255هـ) في تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة منزلة مزدوجة، منزلة تاريخية شهد له بها معاصروه، ومن تبعهم من أعلام الفكر العربي الإسلامي، ومنزلة حضاريّة وثائقيّة إذ ما فتئت كتبه تمدّ الدّارسين المعاصرين بمعين من الاستقراءات، والتّحليلات، والاستنباطات، يعسر علينا اليوم إدراجها ضمن مسالك الاختصاص في المعرفة البشرية حسب تصوراتنا الذهنية المعاصرة.

ولعلّ في مؤلّفاته مادّة لمن يؤرخ للفرق الدّينية، والمذاهب الفلسفية، والتيارات "الإيديولوجية"، وفيها كذلك مادة تخص الباحث في خصائص التفكير العربي منذ ازدهار حضارته العبّاسية، فضلا عمّا فيها من مادّة غزيرة لمؤرّخي الأدب والنّقد، وسائر العلوم اللّسانية، والجمالية، وهذا الذي جعله -فيما بعد- رائد لمدرسة، أطلقوا عليها اسم "المدرسة الإنسانيّة" مع ما في المصطلح من أبعاد تعاطفية ذات منزع أخلاقي.[1]

ثم هو أديب وعالم ومتكلّم بصري، عاش نحو قرن من الزمن أي (نحو منتصف القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد).[2]

"والمصادر التي ترجم فيها أصحابها للجاحظ تكاد في مجملها تجمع على أنّه توفي سنة 255هـ، ولكنّها تختلف في تحديد سنة ميلاده، وتتّفق في حصرها في العقد السّادس من القرن الثّاني بين سنتي 150هـ و159هـ فقد عاش-إذن-في النّصف الثّاني من القرن الهجري الثاني، والنّصف الأوّل من القرن الثالث، وهي فترة واكبت نمو الدّولة العباسيّة، التي ازدهرت حتى أصبحت معينا خصباً لتمثّل التّيارات الفكرية الأجنبية المختلفة والمتباينة".[3]

كما أنّ العصر الذي عاش فيه ازدهر بالرّواية، والجمع، والتّأليف، والمناظرات فضلا عن النّقل، والتّرجمة في كلّ حقول المعرفة، على نحولم يكد يسبق له مثيل، فعصره كما تشهد به كتبه هو عصر نشأة العلوم والدّراسات وتشعّبها، وهو كذلك عصر فقدان التخصّص في حقول المعرفة، وعليه فليس هناك من يمكن أن نسمّيه ناقداً أدبياً بمعنى الكلمة.[4]

([1]) انظر: عبد السلام المسدي: دراسات نقدية، قراءات مع الشابّي والجاحظ وابن خلدون، ط1، 1993م، دار سعاد الصباح، ص 97.

([2]) وديعة طه نجم: الجاحظ والنّقد الأدبي، حوليات كليات الآداب، الكويت، الحولية 10، 1989م، ص 15.

([3]) شارل بيلا: الجاحظ في البصرة وبغداد، وَسامِراء، تر: ابراهيم الكيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1985، ص 98.

([4]) انظر: وديعة طه نجم: المرجع السابق، ص15.

أمّا وفاته فقد كانت في القرن الثّالث الهجري أي (سنة 255هـ)، وقد اشتهر بأنّه كان من كبار رجال المعتزلة، ومؤسس إحدى فرقها "الجاحظية" المعروفة، وكتاباته في معظم مؤلفاته التي نافت عن ثلاث مائة وستين مؤلّفا في شتّى فنون المعرفة يلتقي فيها العلم بالأدب، ولا يُقتصر فيها على البراهين النّظرية، وإنّما كان يعمد دائما للاستعانة بالشعر، والتاريخ، والوقائع، والتجارب.[1]

فالجاحظ كما هو معروف من الكتّاب المشهورين بوفرة انتاجهم فقد جمع له "حسن السندوبي" مائة وتسعة وخمسين مؤلّفا، وعدّله "شارل بيلا" أكثر من مائتي عنوان، وأثبت له أخيرا "طه الحاجري" ما يقارب اثنين وثلاثين كتابا، تناول فيها مواضيع مختلفة كالأدب، والدّين، والسّياسة، والاحتجاج.

وقد تميّز بعضها بالجانب الرّوائي، مع تدخّله بالتعليق، والتّمحيص، وخاصة بالبنية التي ينسج فيها أخباره، فيشكّل مع الصّياغة اللّفظية التي يفرغ فيها أسلوباً يعرّفها من بين العديد من الأساليب.[2]

ومن أهم كتبه التي عالجت مسائل النّقد والشّعر، وقضايا البيان والبلاغة كتابان هما: "البيان والتبيين" أوّلا و "الحيوان" ثانيا، وفيهما طرح جملة من قضايا النّقد الأدبي التي لازالت حتى اليوم موضع مُدارسة من قِبَل النّقاد ومن أهم المسائل: "اللّفظ والمعنى"، "النّظم"، "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، "السّرقات الشّعرية"، "فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام"، "البيان العربي" وما يشتمل عليه من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وكناية، بالإضافة إلى مباحث أخرى أطلق عليها اسم "البديع".[3]

و عليه فإنّ أهمّ القضايا التي جاء بها الجاحظ، ظلّت قائمة إلى العصر المعاصر، وأصبحت عبارة عن مصطلحات نقدية في ميدان النّقد العربي المعاصر، وبالتّالي فقد ضمن البقاء لما جاء به، وساهم في الحركة الأدبية العربية بصفة عامّة، والبلاغية، والنّقدية بصفة خاصّة.

([1]) انظر: قصي الحسين: النّقد الأدبي عند العرب واليونان، معالمه وإعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص 307.

([2]) انظر: محمد الصغير بناني: النظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتّبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 43.

([3]) انظر: قصي الحسين: المرجع السابق ، ص 307.

المبحث الأول: قراءة مصطلحية في العنوان (الشّكل)

لعلّ من أهمّ الدّوافع التي جعلت الجاحظ يؤلّف كتابه "البيان و التّبيين"، أنه أراد أن يدافع عن العربية وبلاغتها، و بيانها، إذ أنّ هذه المدوّنة جاءت لتردّ على الشّعوب الأخرى التي كانت تفخر بما لديها من أقوال في البلاغة و البيان.

فأراد أن ينسب للعرب السّبق في هذا الميدان، فألّف كتابه هذا في الخطابة، وذكر فيه أن الخطب للعرب والفرس فقط، والهند لها معان مدوّنة، وكتب مجلّدة، وأنّ اليونان لها فلسفة، وصناعة، ومنطق، وصاحب المنطق عليم بتمييز الكلام وتفصيله، ومعانيه، وخصائصه، وأن جالينوس كان أنطق الناس، ولكنّه فضّل العرب عليهم جميعا، وذلك من خلال ميزة الارتجال، والبداهة، وعدم المكابدة، و المعاناة، ومنه يبدوا لنا فضل العرب على غيرهم من الشّعوب من وجهة نظره.[1]

وإلى جانب الرّد على الشّعوبية نجد دافعا آخر لتأليفه ألا وهو أنّه لم يسبق له أن خصّ البيان العربي ببحث شامل، أو دراسة معمّقة مستفيضة، تبرز طاقات وأسرار اللّغة العربية في مجالي التّعبير، و إقناع المستمع عن طريق المناظرة، و الخطابة، و هما اللّونان الأدبيان اللّذان سادا عصره في الجدل، والمناظرات بين مختلف طوائف الملل والنحل.[2]

كما حرص أصحاب الكلام على إتقان هذين الفنّين، ومن ثمّة استطاعوا وضع أصولهما، وقواعدهما، عن طريق تمثّل أسرار اللّغة العربية، وحفظ الخطب المشهورة، والتّمرس بالأسلوب المنطقي في التّسلل بالفكرة للوصول بها إلى غايتها بقصد إفحام الخصم.

هذا وقد استطاع "الجاحظ" -فعلا- بما أوتي من ذكاء حاد، و امتلاكه لناصية اللّغة أن يكشف هذه الأسرار، ويستنبط أصول البيان، ويضع قواعد، و ضوابط البلاغة.

وبكتابه نال الشّهرة و الذيوع، حتى عدّه "ابن خلدون" واحداً من أصول علم الأدب لأنّه عالج فيه المبسوط في موضعه، والمحذوف في موضعه، أي الإطناب والمساواة، والكناية، و الوحي باللفظ ودلالة الإشارة.[3]

وعليه نستطيع القول أنّ كتاب"البيان والتّبيين" من أهم الكتب الأدبية التي خلّفها لنا في آخر أيّام حياته (حوالي سنة 233هـ)، ومن ثم جاء خلاصة لآراء تمخّضت منذ زمن طويل، وحَكَكَتها التّجربة و الممارسة".[4]

([1]) انظر: محمد زكي العشماوي: قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية، ط 2009م، ص 241،242.

([2])انظر: حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، ص 570.

([3])المرجع نفسه، ص 570.

([4]) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 43.

ولا نجد له "عند المتأخّرين، وخاصّة عند المعاصرين العناية الكافية التي هو جدير بها، إذ أنّه يعد عند بعضهم: مجموعة من المختارات الأدبية الجيّدة في الشّعر و النّثر، وعند البعض مختارات من الأدب من آية قرآنية أو حديث، أو شعر، أو حكمة ممزوجة بما له من آراء في مسائل عدّة..."[1].

و قد" أهدى كتابه هذا إلى القاضي أحمد بن أبي داود،كما أهدى من قبله كتاب "الحيوان" إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة 233هـ، وكتاب "الزّرع والنّخل" إلى الكاتب إبراهيم بن عباس الصولي المتوفى سنة 243هـ،و أن كلا منهم أعطاه خمسة ألاف دينار.[2]

لقد كان الجاحظ في استعماله لمصطلحي " البيان والتبيين" على دراية مسبقة بمفهومها، وبما يرمي له من وراء توظيفها، فوضعه للتسمية لم يكن عبثا أو اعتباطا، وإنما كان عن دراسة وتمحيص ينم عن رغبة ملحة من شخص عالم، يعيش معطيات عصر يدفع إلى التّأليف، لمن توفّرت فيه العناصر الممكنة لذلك.

-الدلالة المعجمية لمصطلحي "البيان والتبيين".

جاء في (لسان العرب)أنّ:

"البيان"ما بيّن به الشّيء من الدّلالة وغيرها، وبأن الشّيء بيان: اتضح فهو بيّن، وكذلك أبان الشّيء فهو مبين قال الشاعر:

لَوْ دبَّ ذرٌّ فَوْقَ ضَاحِي جِلْدِهَا ... لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورُ.

و أبنته أنا،أي أوضحته، و استبان الشّيء ظهر و استبنته أنا: عرفته، وتبيّن الشيء ظهر.

و البيان: الإفصاح مع ذكاء. البيّن من الرّجال: الفصيح كما جاء عن" ابن شميل" : البيّن من الرّجال السّمح اللّسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرتج، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه و أوضح كلاما، ورجل بيّن : فصيح والجمع أبيناء و أنشد"شمير"

قَدْ يَنْطِقُ الشِّعْرَ الغَبِيُّ، وَيَلْتَئِي ... عَلَى البَيِّنِ السَّفَّاكْ، وَهُوَ خَطِيبْ.

قوله يلتئي أي يبطئ ، من اللأي وهو الإبطاءَ.

و التّبيين الإيضاح، و التّبيين أيضا: الوضوح، قال "النّابغة":

إلاَّ الأَوَارَى لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا ... و النُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الجَلْدِ.

يعني أتبيّنها

ويقال : تبيّنت الأمر أي تأمّلته وتوسّمته، وقد تبيّن الأمر يكون لازما وواقعا وكذلك بيّنته فبين أي تبيّن".[3]

وفي المعجم الوسيط:

---

[1] المرجع السابق، ص 44.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 15.

[3] ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج2، مادة [بيّن]، ص 198،199.

(بان) منه، وعنه –بينا، وبينونة: بعد وانفصل

(أبان) : ظهر و اتّضح. و –فلان أفصح عما يريد. و–الشّيء : فَصَلَهُ وَأَبْعَدَهُ. و–أظهره و أوضَحه.

ومنه (بيّن) أي ظهر و اتّضح. و يقال: بيّن الشّجر: بدا ورقُه أوّل ما ينبت.

(تباينا): بان كل منهما على الآخر.

و–اللّفظان (عند المناطقة): اختلف مفهوم مدلوليهما.

(تبيّن): مطاوع بيّنه. والشّيء: ظهر و اتّضح.

و–الشّيء: تأمّله حتّى اتّضح.

ويقال: تبيّن في أمره: تثبّت وتأنّى.

(استبان) : ظهر و اتّضح، و–الشيء: استوضحه وعرفه.[1]

وهكذا نجد أنّ الدّلالة اللّغوية لمصطلحي " البيان" و "التّبيين" هي دلالة متقاربة، وتعني في مجملها الظّهور و الذّهاب في الوضوح، و التأمّل في الأمور، والكشف عن الأشياء، وكذلك الفصاحة و البلاغة.

الدّلالة الاصطلاحية :

يعرّف "البيان" بأنّه ذلك العلم الذي يرد المعنى فيه بطرائق متعدّدة، وفي هذه النقطة يصول الجاحظ ويجول، متحدّثا عن البيان اللّساني الذي حصل للعرب، ولم يحصل لغيرهم، ذلك أنّ دار العجم، كما قال ينقصها البيان، ومنه فهو ينتصر لجمال قول العربي الذي ينثر الدّرر، وهو يتكلّم بطريقة عفوية طبيعية تحمل الطّبع العربي، وفي هذا يقول"...ليس في الأرض كلام هو أمتع، و لا آنق، ولا ألذّ في الأسماع، ولا أشدّ، اتّصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للّسان، ولا أجود تقويم للبيان من طول استماع حديث الأعراب".[2]

فإذا كان البيان مقتصر على العرب، وعلى لغتهم، فيمكن أن نحتجّ في هذه النّقطة بقول البيروني بعده، إذ قال:" لأن أُهجى بالعربية خير لي من أن أمدح بالفارسية، فلم يكن انتصاره عبثا إلاّ للبيان الذي تحمله اللّغة العربية.

هذا و قد أورد الجاحظ تعريفات منها قوله" والدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه، ويدعو إليه، ويحث عليه. بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم".[3]

و عليه فهو ما يظهر دلالة المعنى الخفي، وهو الذي مدحه الله سبحانه وتعالى، وإليه دعى وعليه حثّ، و به نطق القرآن الكريم، و كذلك هو فخر العرب، ومفاضلها على العجم.

([1]) مجمع اللّغة العربية: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، مادّة [أبان]، ج1، ص 69،70.

([2]) صالح بلعيد: نظرية النّظم، دار هومه للطّباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2009م، ص 112.

([3]) المرجع نفسه، ص 112.

وهكذا لا يكون المعنى جليّا إلا إذا كانت المعاني المتصورة في أذهان الناس، مستورة وموجودة في معاني معدومة، ولن تصيب هدفها، ما لم تنزل مواضعها المناسبة.

فالبيان مركزه القلب، والكلمة إذا خرجت من القلب، وقعت في القلب، و إذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان.[1]

وهو في موضع آخر يقول"....هذا – أبقاك الله – الجزء الثالث من القول في البيان و التّبيين، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث، وشاكله من عيوب الخطب، ومن الفقر المستحسنة، والنّتف المتخيرة، والمقطعات المستخرجة، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة".[2]

فهو هنا يحصر "البيان" في اللّسان و الألفاظ، وغرر الأحاديث وعيون الخطب، وبعض ما يستحسن ويُتخيّر و يستخرج من الشعر، لا يؤدّى إلاّ باللّسان و الألفاظ، وهذا شيء معروف، والألفاظ كلما كانت دلالتها واضحة ظاهرة، وتدلّ على معانيها الخفية المستترة فهذا هو البيان.

وعليه ففي الاصطلاح من أظهر معانيه، و أكبرها هي التي ترتدّ إلى الإظهار، فهو" توضيح المعنى والكشف عنه كشفاً يجعل السّامع يفضي إلى حقيقته بسهولة".[3]

يقول في هذا الموضع:" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان ذلك الدّليل، لأنّ مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل، و السامع إنما هو الفهم، و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[4]

لم يعد محصوراً في الألفاظ، إنما تعدّاها ليشمل كل شيء باستطاعته أن يسقط القناع، ليكشف عن المعنى، عكس التّعريف الذي سبقه إذ كان "البيان" فيه باللفظ فقط.

"وهذا ما تنص عليه اللّسانيات من أن للكلام وظيفتين هامّتين:

الأولى: أساسية و هي التّوصيل مع الآخرين، و **الثانية**: التّعبير عن وجود طرف ثان (وظيفة جمالية) و دور المتكلّم ينتهي في التّعبير عن الحقائق و لا يتجاوزها، حتى لا يؤثّر في السامع، فالمتكلّم في البيان تنتهي مهمّته في التعبير، ولا يتجاوزه، و على السّامع أن ينتقل ليتلمّس المعنى و يفضي إلى حقيقته.[5]

و لعلّ المتأمّل في تعريفه لهذا البيان أنه قصد به أصناف الدّلالات الأخرى باعتبار أنّها تساهم في إظهار المعنى. و هذه الدّلالات يجملها في قوله : "... و جميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة

([1]) انظر: المرجع السابق ،ص 112.

([2]) الجاحظ: المصدر السابق، ج3، ص 5.

([3]) الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م، ص 114.

([4]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 16.

([5]) صالح بلعيد: المرجع السابق، ص 113،114.

أشياء لا تنقص و لا تزيد أوّلها اللّفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال تسمّى نصبة. والنّصبة هي الحال الدّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، و لا تقصر تلك الدّلالات.[1]

ووصف كذلك هذا المصطلح بأنّه: "طبع، وملكة تصفوا، و تفسد حسب المواطن و الأشخاص ما يجعل البيان ميزة من ميزات الدّليل في جميع مستوياته الحرفية، و الأفرادية، و التّركيبية، و بهذا المعنى ورد ذكر البيان في عدّة نصوص كقوله: إنّ سقوط الإنسان مثلا أصلح في الإبانة عن الحروف، أو قوله: أو الذي يعتري اللّسان ويمنع من البيان أمور منها اللّثغة".[2]

و في الأخير فإن المصطلح محدّد، وواضح "يكشف عمّا في النّفس من معان و أغراض، عن طريق الألفاظ و اللّسان. كما هو في الفصاحة، و الوضوح، وحسن الدّلالة، و بسط المعاني، و تغيرها بتغيّر الدّلالة.[3]

أمّا فيما يخصّ "التّبيين" فإن الانتقال إليه لم يتم عنده بصورة مفاجئة، لكنه مرّ بمرحلة وسطى، و هي مرحلة حسن البيان و عليه فقد جرت العملية كالأتي :

-أدخل لفظ حسن على المفهوم القديم، ثم اختير في النهاية "تبيين" للدّلالة على هذا النّوع الجديد من الكلام الذي يختلف نوعا ما عن التّبيين.[4]

فهو في اصطلاحه له ما هو إلاّ "توضيح للمعنى، و الكشف عنه، كالبيان تقريبا، إلا أنّه خاص بالمتكلم وأقلّ استعمالا".[5]

وفي موضع آخر يؤكّد على هذا بقوله على لسان علي بن الحسين بن علي-رضي الله عنهما- فيقول: "لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة وجملة الحال في صواب التّبيين لأعربوا عن كل ما تخلّج في صدورهم و لوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم، و على أنّ درك ذلك كان يعدمهم في الأيام القليلة العدّة، و الفكرة القصيرة المدّة، و لكنّهم من بين مغمور بالجهل، و مفتون بالعجب ومعدول بالهوى، عن باب التّثبت، و مصروف بسوء العادة عن فضل التّعلم".[6]

ولعلّ أحسن وسيلة لإدراك معنى هذا المفهوم هو أن ندرسه من خلال مفهومين آخرين هما: "الفهم" و"الإفهام".

حيث يذكرهما بعد ذكره لمدار الأمر الذي يكون على "البيان والتّبيين" قائلاً: المفهم لك والمتفهّم عنك شريكان في الفضل، إلاّ أنّ المفهم أفضل من المتفهّم وكذلك المعلّم والمتعلّم.

([1]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 76.

([2]) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 203.

([3]) صالح بلعيد: المرجع السابق، ص 113.

([4]) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 206.

([5]) الشاهد البوشيخي: المرجع السابق، ص 335.

([6]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 84.

كما تطرّق في مكان آخر إثر تعريفه للبيان لنفس الموضوع معلّقاً: إنّ مدار الأمر، والغاية التي يجري إليها القائل والسّامع إنّما هي الفهم والإفهام.

وصريح هذين النّصين يدلّ على أنّ الإفهام لا يكون إلاّ من القائل والفهم لا يكون إلاّ من السامع.[1]

وهذا ما يؤكّده نصّان آخران يتحدّث فيهما عن: "سوء إفهام النّاطق وسوء إفهام السّامع".[2]

"...وعن حسن الإفهام إذا حَدّثتَ، وحسن التّفهم إذا حُدّثتَ".[3]

هذا وإنّه إذا أردنا التّفصيل أكثر: فالبيان بالنّسبة لكلّ من المتكلّم، والسّامع ينطلق فيه من اللّفظ نحو المعنى، والمعنى فيه هو الغاية التي ينشدها كلّ منهما.

أمّا التّبيين فلا يكون إلاّ من المتكلّم. ويتجلّى في صورة لفظ هو الخطاب أو الرّسالة (Message) التي يرسلها المتكلّم إلى المخاطب، واللّفظ فيه هو الغاية التي ينشدها المتكلّم لتأليف خطابه وتركيبه.[4]

وعنوان "البيان والتّبيين" لأبي عثمان، كان محطّ نزاع وخلاف من طرف الدّارسين، أهو (البيان والتبيّن) أم (البيان والتّبيين)، وكانت كلمة (التبيّن) هي الأساس في هاته المواقف، وعليه انقسموا إلى ثلاث فرق، ما بين مشير إليها فقط، وبين جازم، أو ظان بها، وما بين معارض ومتصدّ لها.

فالفريق الأوّل يتقدّمه المستشرق "البارون ماك كوكين دي سلان" والذي يظنّ أنّه أوّل من عثر على لفظة (التبيّن)، وأشار إليها في العصر الحديث، وهذا في المخطوط (أي معجم وفيات الأعيان)، بخط المؤلّف "ابن خالكان"، وذلك عندما قام بترجمة معجمه إلى الإنجليزية بالطّبعة الصّادرة بباريس عام 1838م، وعليه فإنّ "ابن خالكان" لما ترجم "لأبي عثمان" كتب كلمة التبيّن جاعلا الشّدة فوق الياء.

وهو نفس التّوجه الذي إتّخذه كلاّ من "عبد السّلام محمد هارون" و"كارل برو كلمان"، حيث أشارا فقط إلى (التبيّن) بدل (التّبيين).

ثمّ إنّ "إبراهيم سلامة" رابع شخص عزّز موقف الثّلاثة، وقد قال في هامش كتابه (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) معلّقاً على كلمة "التّبيين" الموجودة بعنوان "البيان" يقرأها "هيوار" (التبيّن) بدل (التّبيين)، ويرى أنّ الكلمة الأولى تشير إلى النّقد والتّحقيق أكثر من الكلمة الثّانية.[5]

هذا إذن فيما يخصّ الفرقة الأولى، أمّا "كليمان هيوار" فقد جزم جزما بأنّ العنوان هو (التبيّن) دون أن يسوق أيّ دليل عقلي أو نقلي، وجزم "بدوي طبانة" بدوره بأنّ (التبيّن) هي الصّواب، مصرّاً وملحّاً عليها، وكتب في مؤلّفاته اسم البيان هكذا "البيان والتبيّن" باستثناء الطّبعة الخامسة لكتابه (البيان العربي) حيث نجد فيه لفظة

---

(1) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 211.

(2) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 63.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 254.

(4) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 213،214.

(5) انظر: الشاهد البوشيخي: المرجع السابق، ص 29.

"التّبيين" بدل "التبيّن" وأغلب الظّن أنّ ذلك ليس بتراجع منه، وإنّما مردّه ربّما إلى أخطاء الطّبع، بدليل فهمه لعنوان "البيان" في قوله: "ويستطيع القارئ أن يتصوّر موضوع [البيان والتّبيين] من اسمه، فهو البحث في (البيان) أي في (الأدب) وفنونه، والتّعريف بأسباب قوّته بتوافر عناصر الجمال الفني فيه، ودراست العوارض التي تعتريه، فتعوقه عن تأدية رسالته، وهي توليد الإحساس باللّذة الفنيّة، وذلك بالتّأثير في المشاعر والعواطف، أو قيادة الجماهير، وتوجيهها إليه، وهذا ما يُفهم من كلمة "التبيّن" التي عطفها على كلمة "البيان".

وكذلك "ميشال عاصي" الذي رجّح بأنّ تسمية "البيان" محرّفة فالعنوان الحقيقي والأصلي بالنّسبة له هو "البيان والتبيّن" لا"البيان والتّبيين"، وفي إثباته لهذا أتى ببيّنتين: الأولى أنّ لفظة "البيان" التي تعني التعبير الواضح البليغ في حدّ ذاته...، وهي مرادفة من هذه الوجهة للفظة "التبيين" التي تعني الشّيء نفسه بالنّسبة للّشخص المتكلّم، أما الثّانية فهي أنّ لفظة "التبيّن" وليس "التّبيين" هي المعبّرة عن وضع السّامع والذي مهمّته الفهم في مقابل لفظة البيان المختصّة بالقائل الذي مهمّته الإفهام.(1)

فهؤلاء إذن من تحاملوا على لفظة "التّبيين" وقالوا "بالتبيّن" غير أنّ لفظة 'التّبيين" وجدت من انتصر لها وأخذ بها وهو "الطاهر مكي"، الذي عارض فكرة الأخذ بالتبيّن دون حجج نقلية، ويبدوا ذلك في حديثه عن "البيان" في الجزء الأوّل من كتابه "دراسة في مصادر الأدب" الصادر عام 1968م، في طبعته الأولى إذ قال فيه بأن المستشرق الألماني الفرنسي "كليمان هيوار" ارتأى في كتابه "الأدب العربي"، أنّ أصل عنوان الكتاب "البيان والتبيّن" لأن كلمة "التبيّن" تشير إلى النّقد والتّحقيق أكثر من كلمة "التّبيين"، وتبعه في رأيه بعض الباحثين العرب من المحدثين، ولم يسق المستشرق الفرنسي بين يديه حججاً تعتمد على النّقل، واكتفى بأدلّة عقلية والتي فيها من التمحك أكثر ممّا فيها من العلم، لأنّ عناوين الكتب لا يبحث فيها عمّا هو أولى وأنسب، إنّما نلتزم بإزائها النّص والرّواية، وخاصّة إذا كانت تدعمها شهرة مستفيضة، وما بين أيدينا من مخطوطات الكتاب الذي يجعل العنوان الذي عرف به إن لم يكن يقيناً قاطعاً فهو أقرب إلى اليقين.(2)

وسبق وذكرنا أنّ الدّارس "كليمان هيوار" لم يضع بين أيدينا أيّ دليل عقلي أو نقلي يبرز لنا سبب جزمه وأخذه بلفظة "التبيّن" ولعلّ المقصود بهذا التّعليق هو "إبراهيم سلامة" في حديثه عن "هيوار" في مصنّف البلاغة (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان).

لنعثر على أدلّة نقلية جنحت بدورها إلى أنّ العنوان الحقيقي للكتاب هو "البيان والتبيّن" بياء واحدة مشدّدة، وهي أقوى من تلك العقليّة التي قال بها أصحابها، فهي لا تبطلها، ولا تلغيها، وإنّما تشدّ من أزرها وتؤكّدها، والمتمثلة في نسخ ثلاث هنّ أصحّ النّسخ ،وأوثقها، وأقدمها.(3)

---

(1) انظر: الشاهد البوشيخي: المرجع السابق، ص 31،32.

(2) المرجع نفسه، ص 30،31.

(3) المرجع نفسه، ص 30.

"الأولى هي نسخة فيض الله بالأستانة، ورد العنوان بها مشكولا شكلا تاما ونصّ عبارته هو: ((يشتمل هذا السّفر على جميع كتاب [البيان والتبيّن] (هكذا بتشديد الياء المضمومة) تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رواية أبي جعفر البغدادي كتبه لنفسه بخطّه محمد بن يوسف...بن حجاج بن زهير اللّخمي))

والثانية هي نسخة مكتبة كوبريلي بالأستانة أيضا. ونص العنوان بها هو: ((الجزء الأوّل من كتاب "البيان والتبيّن" (هكذا بياء مشددّة)، تأليف (أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ).

أمّا الثّالثة فهي نسخة خزانة القرويين بفاس ونص العنوان بها هو: السّفر الثالث من "البيان والتبيّن" هكذا بياء واحدة مشددّة)) تأليف (أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، ولا يوجد منها إلاّ ذلك السّفر". [1]

وفي الأخير يبقى أن نقول "أنّ المخطوطات التي نقلت لنا، ومنه أنّ الغلبة (للتبيّن) على (التّبيين) حسب آراء بعض الباحثين والدّارسين.

وفي الأخير يبقى أن نقول "أن المخطوطات التي نقلت لنا كتاب "البيان والتبيين"، قد أدخلت تحريفا كبيرا على هذه العبارة، لكن التّزييف لم ينل إلاّ ما جاء في صلب الكتاب، حيث تكرّرت هذه العبارة خمس مرات، أمّا الشّك في العنوان نفسه أهو "البيان والتّبيين" أم "البيان والتبيّن" فلا سبيل إليه إطلاقا، وتواتر صيغة البيان والتّبيين في أمهات الكتب كالصناعتين، والمقدمة يكفي للقطع بذلك". [2]

ويبقى المؤلّف العبّاسي هو الوحيد الأدرى بالعنوان الأصلي.

المبحث الثاني: قراءة مصطلحية في اللّفظ والمعنى (المضمون)

لقد حمل مصطلح "اللّفظ والمعنى" عدّة دلالات، عندما عُولِجَ بطرق عديدة، ومن زوايا مختلفة، فهو عند القدماء ومعظم المحدثين يعتبر قضيّة، وعند المعاصرين هو مصطلح.

ولعلّ صلة اللّفظ والمعنى خلاف قديم وحديث لم يكن منه بدّ، ذلك هو الخلاف حول الكلمة المفردة واللّفظ المركّب، وهو خلاف دفع إلى عدّة تساؤلات، ولا زال يطرحها إلى غاية اليوم، ومنها قضية أيّهما وجد أوّلاً اللّفظ أم المعنى؟

وقد أثيرت بعدها النّقاشات وقدّمت الحجج، وظلّ الاختلاف قائما حتى وإن فصل أغلب القدماء والمحدثين في هذا الأمر، ولعلّ أكثر العبارات تدلّ على أن المتكلّم يستحضر المعنى في ذهنه أوّلا ثم يبحث له عن لفظ يؤدّيه. [3]

([1]) انظر: المرجع السابق، ص من 32 إلى 36.

([2]) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 193.

([3]) انظر: علي محمد العمّاري: قضية اللّفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية (إلى عهد السكاكي 555هـ-626هـ)، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر مكتبة وهيبة، ط1، 1999م، ص من 17إلى 20.

ولعلّ أوّل ما ظهرت هذه القضية كانت في الشّعر، ف"اللّفظ والمعنى" من القضايا المهمّة في النّقد الأدبي وعدّا ركنان رئيسان من أركان القصيدة، في حين يعتبرهما المحدثون ركناً واحدا، وقد شُغل بهما النّقاد والبلاغيون القدماء كثيراً، وكانت من أعقد القضايا النّقدية آنذاك، وأكثر قضايا النّقد اضطرابا، على الرّغم من عناية النّقاد بها فعرضوا لها في الأدب عامّة، غير أنّها انعكست على الشّعر فأدخلها بعضهم في منهج القصيدة وكيفية نظمها.[1]

وإذا ما رفعنا إلى تعريف اللّفظ اصطلاحا نجده أنّه، "كلّ ما يتلفّظ به الانسان، أو من في حكمه، سواء كان مهملا أو مستعملا"، أو "هو الكلام المستقل والمركّب في وحدات وظيفية ترتبط ببعضها البعض من حيث علاقتها بالمحيط الذي تعبّر عنه".[2]

أمّا المعنى contenu فهو المضمون الذي يعبّر عنه الأديب في أعماله الأدبية، مع ما يقابله من لفظ المبنى، وقد يسمّى المضمون الفكرة.

ولعلّ الفصل بين "اللّفظ والمعنى"، أو بين "الشّكل والمضمون"، لا وجود له حين قال ابن رشيق القيرواني أنّ: "اللّفظ جسم وروحه المعنى".

كما قال النّاقد المعاصر محمد مندور أنّ: "التّحدث عن المعنى، والمبني كالتّحدث عن شَفْرَتَيْ المقصّ والتساؤل عن جودة أحدهما كالتساؤل عن أيّ الشفرتين أقطع".[3]

ولأنّ قضيّة "اللّفظ والمعنى" شغلت حيّزا مهمّاً في مناقشات النّقد العربي، منذ عصر الجاحظ إلى قرون متأخرة.

إنّ الخلاف هذا حول معرفة الموقف الحقيقي للجاحظ خاصّة من "اللّفظ والمعنى" هو راجع أساسا إلى الخلط الملحوظ أحيانا في تعبيره هو نفسه عن هذه المفاهيم.[4]

إذ يبقى أبو عثمان مسؤولا عن هذا الاضطراب في فهم آرائه، ذلك أنّه لا يوردها في موضع واحد.[5]

ولعلّ أحسن وسيلة لتفادي هذا اللّبس، هي محاولة فهم هذه القضيّة داخل نظامه الكلامي، وليس هذا فحسب، بل لابدّ من مسايرته في مغامرته الرّمزية التي سلك فيها اللّفظ والمعنى، لأنها وإن كانت لا تتوفّر فيها كلّ المتطلبات المنهجيّة العلميّة، إلاّ أنّها أكثر اتصالا بأناه وبالتّالي أكثر تعبيراً عن موقفه الحقيقي.

فمن خلال استقراء مختلف النّصوص التي وردت في كتاب "البيان والتبيين" والتي تحدّث فيها الجاحظ عن اللّفظ والمعنى، نصل إلى أنّه من أصحاب الفئة التي لا تركّز على المعنى، بل يمكن أن يعدّ رئيسها.

---

(1) حميد آدم ثويني: المرجع السابق، ص 69.

(2) صالح بلعيد: المرجع السابق، ص 114.

(3) محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، سلسلة قواميس المنار، دار مدني، ص 255.

(4) انظر: محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 39.

(5) انظر: وديعة طه نجم: المرجع السابق ، ص 57.

يقول: "واعلم-حفظك- أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني المقصورة معدودة، ومحصلة محدودة". (1)

فهو يرى هنا أنّ الحكم على المعاني يختلف عن الحكم على الألفاظ، فالمعاني لا حدود لها ولا نهاية فهي تتولّد باستمرار في العقل، أمّا الأسماء التي تطلق عليها هي مقصورة معدودة، وهي محصّلة وتحصر في نطاق المعجم وبالتالي فالمعاني تتّسم بالحرّية وأسماؤها تتّسم بالضيق، ممّا يحتّم على الإنسان البحث عن أسماء لما يُستجدّ من المعاني التي هي ماثلة في الذهن وتتولّد باستمرار، فأسماء المعاني عبارة عن تسمية لهته المفاهيم، وهي محدّدة، ومنه فحكم المعاني خلاف حكم الألفاظ.

ولأنّ الجاحظ من أنصار اللّفظ، فقد عرّفه بقوله:

"الصّوت هو آلة اللّفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التّقطيع وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً، إلاّ بظهور الصّوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتّقطيع و التّأليف". (2)

فاللّفظ بهذا التّعريف لا يظهر إلاّ من خلال الصّوت، ذلك أنّه إذا كانت حركات اللّسان والفكّين والشّفتين غير مصحوبة بصوت فلا يقال عنها لفظ، بل تبقى مجرّد حركات قد تدخل ضمن الإشارة، وبذلك يكون الصّوت هو المترجم الحقيقي لتلك الحروف في شيء يسمّى اللّفظ وفقا لنظامي التّقطيع والتّأليف.

كذلك ما يمكن تسجيله عن هذا التّعريف أنّ هذا العا لم قد أغفل فيه دلالة اللّفظ على المعنى، فمن غير الممكن أن تكون هناك صورة صوتية دون أن ترافقها صورة ذهنية، فاللّفظ لا يُنْطق هكذا لذاته، وإنّما يراد من ورائه إدراك معنى من المعاني، ومنه سُجّل "للجاحظ" أنّه يقدّم قيمة اللّفظ عن قيمة المعنى.

وبناءاً على هذا التّعريف يبني نظريّته المعروفة والشّهيرة بأنّ، "المعاني المطروحة في الطّريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي، وإنّما الشّأن في إقامة الوزن، وتمييز اللّفظ وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحّة الطّبع وجودة الشبك، فإنّما الشّعر صناعة، وضرب من الطّبع، وجنس من التّصوير". (3)

وكأنّ أبا عثمان حين يطرح المعاني في الطّريق يستهين بقدرها ويجعل الشّأن كلّه لأسماء المعاني، أو الألفاظ، ممّا جعل بعض النّقاد يتّهمونه بالوقوع في التّناقض في الرّأي، وأنكروا عليه زعمه أنّ المعاني المطروحة في الطّريق، وعدّ ذلك منه شططا. (4)

وعليه فإنّ الألفاظ هي مقياس براعة الكاتب وهي الأصل، أمّا المعاني فهي مجرّد تابع لها، فالألفاظ تطلعنا على المعاني وتدلّنا عليها، فبدونها لا نستطيع الكشف عنها، واستجلائها ذلك أنّ المعنى لا يقتصر فقط على

---

(1) انظر: محمد الصغير بناني: المرجع السابق ، ص 39.

(2) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 79.

(3) الجاحظ: الحيوان، دار نابلس، بيروت، ط1، ج3، 2005م، ص 131.

(4) وديعة طه نجم: المرجع السابق، ص 58.

الأفكار الماثلة في الذّهن، وإنّما يشمل كلّ الصّور المتولّدة في المخيّلة، والمشاعر المختلجة في الصّدر، والحاجات والميولات التي تحرّك النّفوس، وكلّها أمور تكون متوارية تحتاج إلى الاستبانة، فهي موجودة في نفس كلّ إنسان وكما أنّها تبدوا معدودة لشدّة تواريها، وفي هذا يقول الجاحظ: "...المعاني القائمة في صدور الناس المتصوّرة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومةٍ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه له على أموره، وعلى ما يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره". (1)

إنّه اللّفظ الذي يعلي الجاحظ من شأنه، لأنّ به يُكشف عمّا بداخل النّفس البشريّة من مكبوتات، و به يعرف الواحد منّا صاحبه، وقد دعا إلى التّجويد اللّفظي وحسن الصّياغة من خلال تعريف استحسنه واختاره من بين التّعريفات التي أوردها للبلاغة حيث يقول: " وقال بعضهم –وهو أحسن ما اجتبيناه ودوّناه- لا يكون الكلام يستحق البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك". (2)

فالكلام البليغ لا يكون إلاّ حينما تكون دلالة اللّفظ والمعنى واضحة ويكون هنالك انسجام في التّلقي بحيث لا يكون لفظ الكلام أسبق من معناه إلى القلب، وهذا لا يتأتّى إلاّ بالتّجويد اللّفظي، وحسن الصّياغة ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول أنّ اللّفظ يدلّ على المعنى.

ومع هذا كلّه لا ينبغي أن يفهم من احتفاء الجاحظ باللّفظ وتفضيله عن المعنى، أنّه ينكر المعاني، ودورها في تحقيق البيان، بل إنّ للمعاني دور كبير في تحقيق البلاغة وحسن "البيان"، وقد أشار إلى هذا في مواضع كثيرة من مصنّفه، حيث يرى أنّ أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه، وأنّ ذلك لا يتم إلاّ عن طريق المزاوجة بين المعنى الشّريف واللّفظ البليغ فيقول: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه...فإذا كان المعنى شريفا واللّفظ بليغا، وكان صحيح الطّبع بعيداً عن الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال مصونا عن التّكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التّربة الكريمة". (3)

فهو هنا لم يُهمل جانب المعنى كليّة، إذ عرض له وأبرز فضله، وأهميته في تقويم الأدب ككلّ، كما أنّه يسوّي بين اللّفظ والمعنى في قوّة التأثير على قلوب السامعين سواءً كان هذا التّأثير حسناً أو سيّئاً، وفيه يقول: "سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني. وقد يُحتاج إلى السّخيف في بعض المواضع، وربّما أَمْتَعَ بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشّريف الكريم من المعاني"(4)

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، المصدر السابق، ج1، ص 75.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 115.

(3) المصدر نفسه ، ج1 ،ص 83.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 145.

على أنّ الدّارس يجب أن يقف على أصول القضية ومنابعها الأولى التي ينطلق أبو عثمان منها...تلك المنابع التي يستقي منها المبادئ الأساسية التي يقيم عليها أركان آرائه ومواقفه من جميع القضايا... وهي مبادئ الاعتزال الأساسيّة التي تشكّل قاعدة لمناقشاته في شتى المجالات.(1)

كما ساق لها التّعريفات، فقد عالج مصطلح "اللّفظ والمعنى" من زاوية كونهما قضيّة، فلم تكن آنذاك قضيّة اسمها المصطلح بالمعنى المصطلحي المعاصر.

وهكذا استطاع "الجاحظ" بعبقريته الفذة أن يبيّن ما لهذا الأخير (اللّفظ) من أهمية كبيرة في حسن الإفهام، فهو الوسيلة المثلى التي تمثل عماد الاتصال والتّواصل.

ولا بأس أن نذكر في هذا المقام أنّه قد ثمّن النّص الأدبي من خلال إيثاره اللّفظ على المعنى، وبذلك نقل النّقد من ميدان الدّراسات القرآنية إلى ميدان الدّراسات الأدبية، وبذلك عدّ أنّه:

من أوائل أنّه من أوائل الذين وضعوا مقاييس اللّفظ حينما تكلّم عن تنافر الألفاظ وما ينبغي تجنّبه منها.

وفَصَلَ بَيْنَ اللّفظ والمعنى، حيث جعل للألفاظ جهابذة عارفين وللمعاني نقّاداً في قوله: "قال بعض جهابذة الألفاظ ونقّاد المعاني، المعاني القائمة في صدور النّاس".

فإنّ هذا العالم مثّل الفكر المتحضّر حيث فاقت ثقافته إلى النزعة التي تبحث في الفلسفة عن عوالم الجمال في الأدب كما لم يقصّر في نظرته إلى الأدب نثره وشعره، وقد قيّد وجهات نظره في شعر المولدين والمحدثين من الشّعراء والأدباء الذين عاصروه.(2)

وفي الأخير نستطيع القول أنّ أقوال الجاحظ تعدّدت في "اللّفظ والمعنى" في كتابه "البيان والتّبيين" على نحو لا يمكن حصرها أو عدّها بدقّة، كما أنّها لم تستقر على رأي معيّن، فقد ذهب فيها مذاهب متعددة، ومختلفة وما يحسب عليه أنّه فضّل اللّفظ على المعنى كما سبق وذكرنا، وما يمكن أن نصل إليه بدورنا أنّ اللّفظ يمكن أن ندخله في ما يسمّى اليوم بالتّسمية، والمعنى ندرجه فيما يسمّى بالمفهوم.

فقد تحدّث الجاحظ على اللّفظ والمعنى من زاوية نقديّة حيث فضّل اللفظ عن المعنى، وعرض لذلك الحجج والدّلائل الحرفيّة والأفراديّة، والتركيبية، وبهذا المعنى ورد ذكر البيان في عدّة نصوص كقوله: "إنّ سقوط الإنسان مثلا أصلح في الإبانة عن الحروف أو قوله أو الذي يعتري اللّسان، ويمنع من البيان أمور منها اللثغة".(3)

وبإطلالة سريعة حول الذين ألّفوا بعد الجاحظ حول هذا المصطلح كعبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة".

(1) وديعة طه نجم: المرجع السابق، ص 60.

(2) حميد آدم ثويني: المرجع السابق، ص 69،70.

(3) محمد الصّغير بناني: المرجع السابق، ص 203.

فإنّنا نجد أنّه يعرّف اللّفظ بأنّه في أصل اللّغة هو الرّمي، فيقال: لَفَظَتْ الرَّحَى الدَّقِيقَ، ثم استعمل في الرّمي من الفم، والمعنيان مصدريان، وعند بعض المؤلفين المحدثين اللّفظ (صوت أو مجموعة أصوات تواضع النّاس على أن تكون جزءا من الحديث، لتنقل بينهم فكرة من الأفكار).

وهو في اصطلاح النّحاة: الصّوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، فإذا دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه سمّي كلاماً.

كما يضيف بعض المحدثين من النّقاد والأدباء إلى أنّ للّفظ أمورا لم يكن يعتدّ بها المتقدّمون، ولا تساعد عليها أوضاع اللّغة منها قولهم: "فليست اللّفظة-إذن-رمزا يشير إلى فكرة ومعنى فحسب، بل هو نسيج متشعّب من صور ومشاعر، أنتجتها التّجربة الإنسانية، وبثّت في اللّفظة، فزادت معناها خصباً وحياة".[1]

وغيرها من التّعريفات التي ضمّنها في كتبه والمتعلّقة باللّفظ، وفي تعريف الجرجاني أن له عبارة مشهورة: وهي "المعنى"، "ومعنى المعنى"، فنعني ب"المعنى" المفهوم من ظاهر اللّفظ، وهو الذي يفهم منه بغير واسطة و ب"معنى المعنى" أن يفهم من اللّفظ معنى، ثم يفيد ذلك المعنى معنى آخر.[2]

أمّا فيما يخصّ "مصطلح" أو قضيّة "اللّفظ والمعنى" في كتبه فقد عرض لها أكثر من مرّة، والرّأي الذي لم يَحِدْ عنه أنّ المتكلّم يرتّب المعاني في نفسه، ثم يحذوا على ترتيبها الألفاظ في نطقه، وأنّ الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتّبة إلاّ بعد أن يفكّر في المعاني ويرتّبها في نفسه.

وتكرّر معنى هذه العبارة في كتابه "دلائل الإعجاز" والمفهم منها أنّ المعاني سابقة للألفاظ وأنّها تقع في النّفس مجرّدة عنها، وصرّح الإمام بأنّ الألفاظ خدم للمعاني، وأنّ المعاني تقع في النّفس أوّلا، وهذا ما يعمله كلّ عاقل.[3]

وبناءا على هذا نجد الجرجاني يقول بأسبقية المعاني على الألفاظ فهي تأتي أوّلا ثم تليها الألفاظ، عكس الجاحظ الذي جعل المعاني مجرّدة تابعة للألفاظ.[4]

فينفي أن يقع التّرتيب فيها، فيخطأ الذين توهّموا أنّ المعاني تابعة للألفاظ، وإنّه لما رأوا السّامع يستقبل الألفاظ أوّلاً ثم يفهم معانيها ظنّوا أنّ المعاني تابعة: فقد ترى أحدهم يعتبر حال السّامع، فإذا رأى أنّ المعاني لا تترتّب في نفسه إلاّ بترتيب الألفاظ في سمعه ظنّ أنّ المعاني تبع للألفاظ.[5]

ثم أن يشعر بوعي نقدي، بأنّ ثنائية "اللّفظ والمعنى" أصبحت خطرا على النّقد والبلاغة، فالانحياز للّفظ قتل للفكر، الذي هو في اعتقاده وراء عملية أدق من الوقوف عند ميزة لفظة دون الأخرى، وأنّ الفصاحة ليست

([1]) علي محمد حسن العمّاري: المرجع السابق، ص 36.

([2]) المرجع نفسه، ص 39.

([3]) ، المرجع نفسه ص 23.

([4]) المرجع نفسه، ص23.

([5]) محمد عزّام: المرجع السابق، ص 333.

في اللّفظة، وإنّما في تلك العملية الفكرية التي تضع تركيبا من عدّة ألفاظ، وكذلك حمل عبد القاهر على المنحازين إلى جانب المعنى.[1]

فنجد الجرجاني يرفض المذهبين المتعارضين الذين يأخذ كلّ منهما بطرف واحد من القضيّة، وذلك من أجل تثبيت نظريّته في (النّظم والتّأليف) التي يرى أنّها سرّ الإعجاز، واعتمد فيها على الجاحظ الذي فهمه النّاس خطأ، عندما قالوا أنه رأس المنحازين إلى جانب اللّفظ حينما قال: (والمعاني مطروحة في الطّريق...الخ) فهو يتحدّث عن "الأدوات الأوّلية"، ولذلك يقارن بين الكلام، ومادّة الصائغ الذي يصنع من الذّهب أو الفضّة خاتماً، وإذا أردت الحكم على الصّنعة أو الجودة تنظر إلى الخاتم من حيث إنّه خاتم، ولم تنظر إلى الفضّة أو الذّهب (المواد الأولية).[2]

ولعلّ "نظريّة (النّظم) أو التأليف عند عبد القاهر إنكار لتلك الثنائية المظلّلة، وعودة إلى الوحدة، حيث ينبغي على النّاقد أن يُعنى برؤية الصّورة مجتمعة من طرفيها دون الفصل بينهما، وتلك هي نظرية الجاحظ التي استغلّها عبد القاهر في توليد نظريته وتأكيدها".[3]

وهكذا تتجاذب الرؤى وتختلف حول مصطلح "اللّفظ والمعنى"، إذ أنّ هناك من يعطي الأولوية للّفظ على المعنى، وهناك من قال بأهمّية المعنى وأسبقيّته على اللّفظ، ولكلّ حجته في ذلك.

ويبقى أنّهما متصلان ببعضهما البعض، وأنّ دراستهما أثرت الأدب العربي عامّة والنّقد خاصّة.

وهما عند الجاحظ لا ينفصلان كذلك، وإن كان تفضيله للّفظ على المعنى واضح، لكنّه لم ينكر دور المعنى وبالتالي اجتمعت صورة اللّفظ والمعنى عنده.

([1]) المرجع السابق، ص 333.

([2]) المرجع نفسه، ص 333،334.

([3]) المرجع نفسه، ص 334.

الفصل الرابع:

المصطلحات النقدية المستخدمة في "البيان والتبيين"

المرجعية النقدية للجاحظ:

لعلّ للجاحظ مرجعيات عديدة أسهمت في تبلور فكره الأدبي عامّة، والنّقدي بخاصّة، هته المرجعيات اكتسبها انطلاقا من الشّخصية التي يتمتّع بها، كما أنّها تعود إلى البيئة التي نشأ بها بكل ما فيها من أطياف وظروف العصر المختلفة.

"خصوصا إذا علمنا أنّه كان يهتم بكل ما يحيط به أو يقرأ، أو يسمع عنه، وأنّه عاصر أوّج ازدهار الفكر الإعتزالي الذي يعدّ من النّاطقين به، أدركنا طبيعة اهتماماته ومن ثم طبيعة مؤلّفاته الجامعة المتنوعة".[1]

"وقد استوعب الجاحظ جميع ثقافات عصره، وصهرها في ثقافته العربية الأصيلة دون المساس بوحدتها".[2]

فاستقى العلم من مناهل عديدة، فتعددت بذلك رجعياته التي أسهمت في تنوع، وإثراء ثقافته، حتى غدى عالما من أبرز علماء عصره، ونموذجا يُقتدى به في التّراث العربي والإسلامي ككل.

وقد تجلّت هذه المرجعيات في معرفته اللّغوية، والفكرية، والبلاغية، والأدبية...

المعرفة اللّغوية و الفكرية:

لقد أخذ الجاحظ المعرفة اللّغوية عن الرّواة، واللّغويون من أمثال أبي عبيد، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، وخلف الأحمر، وابن الأعرابي، وأبي زيد الأنصاري، وعلماء كلام أمثال أبي الهذيل العلاف والنظام، وبشير بن المعتمر، وثمامة بن أشرس وغيرهم.[3]

وذلك من خلال رواية الأشعار عنهم، وكذلك الأخبار، واللّغة، والطّبيعيات، والتي رواها عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وأخذ عن الأصمعي الذي كان أستاذه في الأخبار والنّوادر، والمعارف الطّبيعية عن الحيوانات، وقد روى عنه مرّات عديدة كما أخذ كذلك عن ابن الأعرابي معارف عن الحيوانات والنّوادر، كما أخذ عن خلف الأحمر رواية الشّعر ونحله، كما أخذ عن عمر الشيباني.[4]

وقد ساق لنا "ياقوت الحموي" خبرا عن صلته بهذا المذهب قائلا: "كان أبو العثمان الجاحظ من أصحاب النّظام، وكان واسع العلم بالكلام كثير التّبحر فيه شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به، وبغيره من علوم الدّين، والدّنيا عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون ويميّزون الأمور".[5]

---

(1) وديعة طه نجم: المرجع السابق، ص 11.

(2) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 6.

(3) انظر: علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص32.

(4) المرجع نفسه، ص من 33 إلى 35.

(5) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى المعرفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ص475،474.

"ولعلّ الجانب الكلامي هو القطب الكبير الذي تدور عليه رحى فلسفته بما فيها البيان كتعبير، والبلاغة كتوصيل، والأدب كتقويم للقول والعمل معا".[1]

وقد نبغ الجاحظ في فصاحة المنبر، فميله لفصاحة الكلم، والتّعبير الفنّي قد دفعاه إلى تكديس الإستشهادات المستعارة من التّراث العربي المكتوب منه والشّفهي، ومن مذكّراته الخاصّة، ولعلّ ولعه بالخطباء المصاقع يظهر بوضوح في كتاب "البيان والتّبيين" الذي أراد أن يجعل منه مجموعة للبيان العربي منذ عصور الجاهلية ومع ما استمد من تأليف الكتاب عن جزء من معلوماته من خارج البصرة.[2]

وهكذا تبلور فكره الـمُمَثّل في "مواقف ثقافة المتكلّمين وطرائق تفكيرهم، في عصر كانت بوادر النّقد الأدبي قد بدأت تتبلور، وتتخذ صورة ما، وإن لم تكن واضحة كلّ الوضوح بعد".[3]

المعرفة اللّسانية:

لعلّ المعرفة اللّسانية اكتسبها من خلال لغة التّخاطب في البصرة خاصّة إذا قبلنا–وسنقبل دون عناء– المبدأ القائل بأنّ كلّ قبيلة نزلت البصرة قد احتفظت بلهجتها الأصلية، كان من البصرة أن تكون في بدء أمرها (فُسَيْفِسَاء) من اللّغات، أو على الأقل مجموعة من التّنوع اللّغوي الواضح.[4]

وقد تحدّث الجاحظ عن هذا الفساد الصّوتي، إذ في كتاب "البيان والتّبيين" نجده يتحدّث عن اللّثغة وعن المفردات المستعملة في المحاورات، حيث كان يدرك إدراكاً عجيباً أصول هذا العلم (اللّسانيات)، وهي "لسانيات علمية تجريبية، نشأت في ظروف شبيهة بالظروف التي نشأت فيها اللّسانيات الحديثة".[5]

المعرفة البلاغية:

يحتلّ الجاحظ في البلاغة العربية مكانة لا تحتاج إلى دليل، فاعترف له بها أنصاره وخصومه، ولم يكن ينظر إلى البلاغة كعلم فحسب وإنّما كأدب أيضا، بل إنّ البلاغة عنده هي المقام المفضّل الذي تلتقي فيه أهم العناصر المقوّمة للثّقافة، العلم، والفنّ، والأدب، ولذلك كانت كل شيء في الإنسان، بل هي الإنسان نفسه.[6]

وبما أنّه كان من المعتزلة فقد عنى بالقرآن الكريم، من خلال الدّفاع عن الإسلام، فدرس البيان العربي دراسة مستفيضة شاملة، واستعمله في فهم معاني الآيات القرآنية، وإثبات إعجازها، وردّ على منكري هذا

(1) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 8.
(2) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 164.
(3) وديعة طه نجم: المرجع السابق، ص 13.
(4) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 173.
(5) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 9.
(6) المرجع نفسه، ص 10.

الإعجاز، والمشكّيكن فيه، ولم يكتفوا بالقرآن المجسّد المطلق للبيان، فانصرفوا إلى المأثور من كلام العرب، وإلى تراثهم بشقّيه الشّعري والنّثري، لأنّ البلاغة العربية، والبيان العربي يكمن هناك أيضا.

كما أنّه اكتسب المعرفة البلاغية من القصّاص، والوعّاظ الشعبيون الذين راقبهم أثناء طوافه، وقد أورد لهم قائمة تحت عنوان "ذكر القصّاص" في مقطع جاء مباشرة بعد باب عنوانه: (ذكر النّساك، والزّهاد من أهل البيان)، فهو يعقد مقاربة بين هاتين الفئتين من الأشخاص الذين اجتذبوه بطلاقة ألسنتهم وجمال أسلوبهم أكثر ممّا اجتذبوه بعلمهم المعجب في بعض المناسبات.[1]

المعرفة الأدبية:

وهي المعرفة الطّاغية على باقي المعرفيات، فالأدب عرف الجاحظ و به اشتهر، ومنزلته في هذا المجال توطّدت وهو لا يزال على قيد الحياة.[2]

ولعلّ هته المعرفة اكتسبها من الوسط الاجتماعي الذي عاش فيه، حيث أنّه أدخل نوعا جديدا في الأدب العربي، هو تصوير أخلاق الناس، والمجتمع الإسلامي في حياته العادية.[3]

وفي هذا الوسط الاجتماعي كان هناك طبقات اجتماعية، وحياة اقتصادية، وحياة المجتمع بما كان يدور فيها من أخلاق عامّة.

ثم إنّه عاش في زمن أقدم فيه العرب على أضخم حركة للنّقل عرفها تاريخهم، أدّت إلى وضع تراث الأمم الأعجمية التي سبقتهم في مضمار الحضارة بين أيديهم، ممّا جعله يقرأ بعض الكتب المترجمة عن اليونانية، وجعل بعضها مصدرا رئيسيا من مصادر بعض كتبه، كما اعتمد على كتب بعض المترجمين العرب الذين عدّدهم.[4]

المبحث الأول: مصطلحات في الصناعة الكلامية

-مصطلح الصّنعة

الصّنعة لغة:

هي من (صَنَعَ) الشيء –صنعاً: عمله: وبه صُنعاً قبيحا: أساء إليه و– له أو إليه معروفا: أسداه

و(الصناعة): حرف الصّانِع، وكل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له.

و (الصنعة) عمل الصّانع وحرفته.

و–(في الفلسفة) الطريقة المنظمة الخاصّة التي تتّبع في عمل يدوي أو ذهني.[5]

---

(1) انظر: شارل بيلا: المرجع السابق ، ص 156،157.

(2) محمد الصغير بناني: المرجع السابق، ص 14.

(3) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 203،202.

(4) انظر: علي بوملحم: المرجع السابق ، ص 55، 56.

(5) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، المصدر السابق، مادة [صَنَجَ] ص 525، 526.

هذا وقد استخدم مصطلح "الصنعة" في مدونة الجاحظ في مواضع عديدة فأحيانا يورده بلفظه، وأحيانا أخرى يشير إليه بمعناه. كما أنه في بعض الأحيان يستعمل مصطلح الصّناعة، وأحيانا أخرى يستعمل مصطلح "الصّنعة". يقول: " فإن ابتليت بأن تتكلّف القول، وتتعاطى الصّنعة، ولم تسمح لك الطّباع في أوّل وهلة، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك، وسواد ليلتك".(1)

فالصنعة هنا مرادفة للتكلف، ومناقضة لمعنى البداهة والارتجال.

وفي موضع آخر نجد أنها عنده تأتي بمعنى الصناعة حيث قصد بها معنى التّقنية أو الحرفة الفنّية.

يقول: "أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخير اللّفظ لا يكلّم سيد الأَمَةِ بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كل التّنقيح، ولا يصفيها كل التّصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما، أو فيلسوفا عليما، ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصّناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفّح، وعلى وجه الاستطراف والتّطرف".(2)

ومنه كانت الصّنعة بمعنى الصّناعة صناعة الألفاظ والمعاني، وكل ما يتطلب ذلك من اختيار الألفاظ وتنقيحها، وتهذيبها، وتدقيق المعاني وغيرها، وكل هذا يدل على معنى التّقنية أو الحرفة الفنّية.

وتأتي الصّناعة بمعنى الصّنعة ومرادفة للمنطق "وقال الشاعر في قوم يحسنون في القول، ويسيئون في العمل قال أبو حفص: أنشدني الأصمعي للمكعبر الضّبي:

كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُلَهَّى ... بِهِ المَحْرُوبُ وَهُوَ عَنَّاءُ.(3)

ثم إنّ الجاحظ قد يشير ويذكر الصّناعة وهي منفردة عن الصّنعة من خلال قوله: على لسان ابن عتّاب: يكون الرجل نحويا عروضيا، وقساما فرضيا، وحسن الكتاب جيد الحساب، حافظا للقرآن، راوية للشعر، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهما ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني، ليس عنده غير ذلك لم يرضى بألف درهم، لأن النحوي الذي ليس عنده إمتاع، كالنجار الذي يدعى ليعلق بابا وهو أحذق الناس، ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له: انصرف، وصاحب الامتاع يراد في الحالات كلها".(4)

ومنه فالصناعة هنا تنفرد عن الصنعة في الدلالة على المهن عموما، خاصة العملية منها.

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، المصدر السابق، ج1، ص 138.

(2) المصدر نفسه، ج1،ص 92.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 9.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 403.

ومن خلال كل ما سبق، يمكن أن نصل إلى أن الصنعة بمفهومها الاصطلاحي عند الجاحظ تعني تكلف الكاتب، وبذله الجهد من أجل تجويد لغته، وأسلوبه، وهي مناقضة لمعنى البداهة والارتجال.

وقد تتفق مع الصناعة في معنى التقنية أو الحرفة الفنية وتنفرد عنها الصناعة في الدلالة على المهن عموما.

كما يمكن أن تكون الصناعة بمعنى الصنعة في الدلالة على حرفية المنطق والغناء كذلك.

-مصطلح الخطابة:

الخطابة لغة:

(خَطَبَ) النّاس، وفيهم، وعليهم- خَطَابَةً، وخُطْبَةً، أي ألقى عليهم خُطْبَةً، و-فلانة، خطبا وخِطبةً: طلبها للزواج.

(خَطِبَ)-خطبا وخطبة: كان في لونه خُطبةً. فهو أخطب وهي خطباء. (ج) خطب.

(خاطبه) مُخاطبة، وخِطابا: كالمه وحادثه و- وجه إليه كلاما، ويقال: خاطبه في الأمر حدّثه بشأنه، (تخاطبا): تكالما وتحادثا و(الخطاب) الكلام.[1]

إن "الخطابة" عند الجاحظ متناثرة في مواضع كثيرة من كتابه "البيان والتبيين" منها قوله: "الخطباء كثير والشّعراء أكثر منهم، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل".[2]

فنجد هنا أن "الخطابة" تختلف عن الشعر، رغم أنه لم يشر إلى تعريف واضح ومباشر إلى مفهومها، وإنما أشار إلى كثرة الخطباء، وأكثرية الشعراء عليهم، وأن من يجمع بين الشعر والخطابة قليل.

كما يقول في موضع آخر: "ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلّف الكلام الجيد، ويصنع المناقلات الحسان ويؤلّف الشعر والقصائد الشريفة، مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دلّ، وإشارة عيسى بن يزيد بن دأب، أحد بني ليث بن بكر، وكنيته أبو الوليد".[3]

و من قوله هذا يمكن أن نقول كذلك أنّ: "الخطابة" تنسب إلى الخطباء الشّعراء، وإلى مؤلّف الكلام الجيّد، والشّعر والقصائد الشريفة، مع عجب البيان وكثرة الرواية، والدلالة والإشارة الحسنة.

وعليه فإن "الخطابة" هي فنّ تأليف الكلام الجيّد، والشّعر والقصائد الشّريفة، وهي البيان، والرّواية والدّلالة الحسنة، والإشارة يستحسنها السامع.

هذا وإنّه يقول في موضع آخر: "وفي الخطباء من يكون شاعرا، ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتجّ بليغا مفوّمها بيّنا، وربما كان خطيبا فقط، وبيّن اللّسان فقط".[4]

([1]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [خَطَبَ]، ص242،243.

([2]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص45.

([3]) المصدر نفسه، ج1، ص51.

([4]) المصدر نفسه، ج1، ص45.

فكان من شروط الخطابة إذن: البلاغة والبيان بالكلام الفصيح كما أشاد بمن هو أخطب الشعراء وأفصحهم وهو حكيم فيهم: وهو قسّ بن ساعدة الإيادي.

فكما فرّق الجاحظ مصطلح "الخطابة" بالخطباء، يذكر قدامة بن جعفر أقسامه ووظائفه في قوله: "وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه، فالخطب تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء فائرة الحرب... والبلاغة في الجميع واحدة، والعيّ قريب من قريب".[1]

فالمنثور يمكن أن يكون خطبة، وأنّ الخطب تستعمل لإصلاح ذات البين وإطفاء الحروب، والبلاغة في الخطابة من هذا النّوع حاضرة.

ومصطلح الخطاب المعروف اليوم جاء من الخطابة، وهو موجود في القرآن الكريم، ويعرف عند دوسوسير بـ "الكلام".

-مصطلح التّكلف:

التّكلف لغة:

(كَلِفَ) وجهه- كَلَفاً: أصابه الكَلَفُ، فهو أَكْلَفُ، وهي كَلْفَاءُ، جمعه كُلْفٌ و-الشّيء، وبه: أحبه وأولع به، فهو كَلِفٌ. و-الأمر: احتمله على مشقة وعسر، (تَكَلَّفَ): تعرّض لما لا يعنيه. و-الأمر: تجشّمه على مشقّة. و-الشيء حمله على نفسه وليس من عادته.[2]

وتحدّث القدماء عن "التّكلف" ولم يحددوه تحديدا دقيقا، ونظروا إليه نظرات مختلفة، فابن السلاّم مثلا قال عن النّابغة: "كأنّ شعره كلام ليس فيه تكلّف، فقيود الشّعر لا تحدّ من شاعريته، وتلجئه إلى الكلام المعقّد والتصنّع في القول"، وقال عن النابغة الجعدي إنّه كان "مختلف الشعر مغلبا"، فقال الفرزدق: "مثله مثل الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خزّ، وإلى جانبه سمل كساء".[3]

أما الجاحظ في بيانه فإنّه: "لم يشر إلى معنى محدّد للتكلف، وإنما أشار إلى معان عدّة منها: أن المتكلّف هو من يكثر البديع في شعره كمنصور النمري، ومسلم بن الوليد".[4]

فربط المكلّف هنا بالذي يكثر البديع في شعره، والتكلّف كثرته تدل على أن الشّاعر إنّما تكلّف في الإتيان بالكلام الذي يبني به أبيات شعره، والتّكلف هو كدّ الذّهن، والكلام الجيّد، ما سلم من فساد التّكلف وكان قد أعفى المستمع من كدّ التكلّف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التّفهم.[5]

([1]) محمد عزام: المرجع السابق، ص 169.

([2]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [كَلْثَم]، ص795.

([3]) أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، المصدر السابق، ص175.

([4]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص51.

([5]) المصدر نفسه، ج2، ص08.

"فالتكلّف" بهذا يفسد الكلام، ويجهد المستمع، ويتعب القارئ حتّى يصل إلى الفهم، ومنه فالكلام الجيّد هو ما يتوخّى من ورائه الابتعاد عنه.

وعلى هذا الأساس فإن "التكلّف" عند الجاحظ له معان عدة، وتدور في مجملها حول إجهاد النّفس في المجيء بالقول في الشّعر، وفي إتعابها من أجل فهم النّص.

ونجده في موضع آخر يلصق الفساد بمصطلح التكلّف، إذ هو إفساد للكلام الجيد عامّة، والشّعر خاصّة لأن "أجوده ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللّسان كما يجري الذهان".(1)

وفي الأخير فإن الجاحظ لم يستقرّ على مفهوم واحد، ومحدّد لمصطلح التكلف.

غير أنّ من جاء بعده، وُصف عندهم بأنه: "طلب الشّيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بالسّهولة فالكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد وتنوّلت ألفاظه من بعد فهو متكلف".(2)

-مصطلح الطّبع:

الطّبع لغة:

الطّبع: الخلق، و-المثال أو الصّيغة، و-(في علم النفس) مجموعة مظاهر الشّعور، والسّلوك المكتسبة، والموروثة التي تميّز فردا عن آخر، وجمعه طباع وأطباع.(3)

أما **اصطلاحا** فيلتقي بالمعنى اللّغوي، إذ نجده نقيض الصّنعة والتكلّف في الشّعر، والشّعر المطبوع عند النّقاد العرب، هو ما أتى عن الشّاعر عفوا، دون تكلّف أو تصنّع.(4)

وعليه فإنّ هذا المصطلح كان معروفا في الثّقافة العربيّة، نجده مستخدما منذ وقت مبكّر، وربّما أريدت به معان مختلفة، ولكنها في مجملها تشير إلى الجانب الفطري، غير المكتسب في الشاعر، إذ يعلم ما لا يعلمه غيره وهو أكثر فطنة من الآخرين.(5)

والجاحظ من أوائل الذين أذاعوا فكرة الطّبع والصّنعة في ميدان الشعر، فمعروف عنه معارضته للشّعوبية في بيانه، حيث ادّعى عليهم أنّهم يقولون الشّعر عن صناعة، عكس العرب فإنما يقولونه عن طبع وسجيّة يقول: "وكل شيء للعرب فإنّما هو بديهة وارتجال، وكأنّه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر و لا استعانة، وإنّما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير

---

(1) المصدر السابق، ج1، ص67.

(2) محمد عزام: المرجع السابق، ص120.

(3) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [أَطْبَعَهُ]، ص550.

(4) محمد عزام: المرجع السابق، ص224.

(5) وليد محمود خالص: الدرس النقدي القديم بين النظرية والمصطلح، مؤسسة الوراق، الأردن، ط1، 2004م، ص166.

أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلاّ أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا.(1)

وهكذا فهو لم يقدّم مفهوما واضحا لمصطلح "الطّبع" في كتابه "البيان والتّبيين" ومن أقواله نجد أن "الطّبع" يدخل فيما معناه البديهة، والارتجال، والإكتساب.... الخ.

لكنّه تعرّض للطّبع والمطبوعين من الشّعراء في مواضع متعدّدة من كتبه، وأراد به تلك الغريزة في الإنسان والاستعداد الجبلي الذي يودعه الله من عباده من يشاء، وهو يقول بضروراته للشّاعر في بعض نصوصه، ويبدي عجبه من قدرة ثقيف على قول الشّعر، ويردّه إلى الطّبع الذي وهبه الله، وقسّمه لهم على حد قوله، ومنه يؤكّد فطرية الطّبع، وخلقه مع الإنسان.(2)

ولعلّه قريب عند ابن قتيبة، الذي لم يتعرّض للطّبع صراحة، ولكنّه تحدّث عن الشّاعر المطبوع وهو من "سمع بالشّعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطّبع ووشي الغريزة.(3)

ونجد هذا الكلام عن الطّبع يدنوا من مفهوم الجاحظ له، خاصّة أنّه مقرون إلى الغريزة التي تؤدّي معنى الطّبع عند الاستعمال أما عند القاضي الجرجاني [366 هـ] فنحن نكون هنا في مواجهة النّاقد الذي أضاف لمصطلح الطّبع إضافة مهمة، ومدى رحباً، فهو يقول: "إنّ الشّعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع والرواية، والذكاء ثم تكون الدّربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه...".(4)

فقد قصد بهذا القول معاني كثيرة، والباحثون دائما يستشهدون به عند عرضهم لمختلف القضايا والمصطلحات النقدية.

فالبديهة والارتجال توحي بالخليقة، والطّبيعة، والسّجية التي جبل عليها الإنسان وبالطّبع.

ولم يعرض الجاحظ في كتابه "البيان والتّبيين" لمفهوم مصطلح "الطّبع"، بل اكتفى بالإشارة إليه إذ يقول: "فإن ابتليت بأن تتكلّف القول، وتتعاطى الصّنعة، ولم تسمح لك الطّباع في أوّل وهلة، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك، وسواد ليلتك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجالة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة، أو جريت من الصناعة على عرق".(5)

كما أنه يشير في موضع آخر إلى أن الطبع يكون "بالدّربة، والرّياضة، وبالتّحكم، والتعلم.".(6)

---

(1) الجاحظ: المصدر السابق، ج3، ص28.

(2) انظر: وليد محمود خالص: المرجع السابق، ص168،167.

(3) المرجع نفسه، ص168.

(4) المرجع نفسه، ص169.

(5) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص138.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص197.

-مصطلح الإلهام:

الإلهام لغة:

الإلهامُ: ما يلقى في الرّوع: ويستلهم الله الرّشاد، وألهمَ الله فلانا. وفي الحديث: أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي، و-الإلهامُ أن يلقي الله في النّفس أمرا يبعثه على الفعل أو التّرك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده.[1]

هذا وقد جاء في كتاب "التّعريفات للجرجاني" : أن "الإلهام": ما يلقى في الرّوع بطريق الفيض، وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعوا إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجّة عند العلماء إلا عند الصوفيين.[2]

كما أنه الأخذ بطريقة لقانيّة أو لا شعورية في الإبداع، وقد كان أفلاطون يعتقد أنّ الشعراء وسطاء يلهمون الشّعر من قبل ربّاته، ومنه كان (هوميروس) يبدأ (الإلياذة) بمناشدة ربّة الشّعر أن تلهمه، ومثله (دانتي) كان يستوحي ربّات الشّعر في (الكوميديا الإلهية).[3]

أمّا العرب فاعتقدوا أنّ لكلّ شاعر شيطانا يلهمه الشّعر، وأنّ هؤلاء الجنّ يجتمعون في (وادي عبقر) وعليه قيل لكل مبتدع: عبقري.

واعتقدوا أنّ لهذه الشّياطين قبائل تنتمي إليها، يقول حسّان بن ثابت:

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ فَطُوراً أَقُولُ وطُوراً هُوه.

والجنّ لم تكن بأدنى منزلة من الآلهة لدى الإغريق، فبعض العرب كان يعبد الجنّ، وبعضهم يجعلهم شركاء لله، بيدهم الخير والشّر، وعليه فقد قرن العرب الشّعر بقوى مجهولة، خارقة، وزعموا أنّ لكل شاعر شيطانا يعلمه الشّعر، وقد أعجبت هذه المقولة الشّعراء فساهموا في تثبيتها كونها تؤيّد مركزهم الاجتماعي، وعلى هذا فإن مفهوم الشّعر عند العرب هو أفلاطوني النّزعة مادام يرى أن الشّاعر يلهم الشّعر ولا يصنعه.[4]

هذا وقد ورد مصطلح "إلهام" عند الجاحظ في كتابه "البيان والتّبيين" عندما رأى أن الخطابة عند العرب الجاهلية أشبه ما تكون بالإلهام يقول: "فكلّ شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام وليست هناك معاناة، ولا مكابدة ولا إجالة فكرة، ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام أو حين يمتح على رأس بئر، أو

---

(1) لسان العرب: ابن منظور، المصدر السابق، ج13، مادة [لهم]، ص245.

(2) الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت 1985م، ص40.

(3) محمد عزام: المرجع السابق، ص53.

(4) المرجع نفسه، ص 53،54.

يحدو ببعير، أو عند المقارعة والمناقلة، أو عند صراع أو في الحرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا".[1]

ففي مفهوم مصطلح "الإلهام" ورد في خضمّ حديثه عن الخطابة في زمن عرب الجاهلية، إذ يرى أنّ العرب مختصّة بهذا الفنّ الذي يجري على الألسنة على نحو سلس، مسترسل متدفّق.

-مصطلح اللّحن:

اللّحن لغة:

لحن في كلامه- لحناً: أخطأ الإعراب وخالف وجه الصواب في النحو، فهو لاحنٌ ولحّانٌ، ويقال: لحن بلحن بني فلان: تكلّم بلغتهم.

(اللّحن) اللّغة، يقال، هذا كلام ليس من لحني ولا من لحن قومي، ولحنَ القول: فَحْواه وما يفهمه السامع بالتّأمل فيه من وراء لفظه.[2]

أمّا فيما يخص هذا المصطلح عند الجاحظ، فإنّه لا يقدّم له تحديدا أو تعريفا واضحا، غير أنه يورد كثيرا من الأمثلة، والشّواهد التي تتضمّن مفهومه للّحن، والكلام الملحون، وذلك في باب اللّحن.

يقول: "حدّثنا عَثّام أبو عليّ عن الأعمش، عن عُمارة بن عمير، قال: كان أبو معمر يحدّثنا فيلحن يتبع ما سمع".[3]

والمقصود ب"اللّحن" عنده هو التّحريف الذي يصاب به الكلام، ممّا يجعله يشذّ عن قواعد الصّرف والنّحو، خاصّة الإعراب، كما أنّه يشذّ عن أصولية النطق العربي، واللّفظ الصّحيح، وكل هذا ناتج عن الإحتكاك بين العرب والأعجام. يقول الجاحظ في موضع من باب اللّحن: "أبو الحسن قال: أوفد زياد عبيد الله بن زياد إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: "إنّ ابنك كما وصفت، ولكن قوّم من لسانه". وكانت في عبيد الله لكنة، لأنه كان نشأ بالأساورة... وكان قال مرّة: افتحوا سيوفكم، يريده سلّوا سيوفكم".[4]

-مصطلح السّبك:

السّبك لغة:

هو من (سَبَكَ) المعدن-سبكاً أي: أذابه وخلّصه من الخبثِ، ثم أفرغه في قالب، ويقال: سبكْتُ التجارب فلانا: علّمته وهذّبته فهو مسبوك- وسبيك.[5]

([1]) الجاحظ: المصدر السابق، ج3، ص28.

([2]) مجمع اللغة العربية: المعجم للوسيط: المصدر السابق، مادة [لَحَنَ]، 819،820.

([3])الجاحظ: المصدر السابق، ج2، ص210.

([4]) المصدر نفسه، ج2، ص210.

([5]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: المصدر السابق، مادة [سبك]، ص415.

وقد ورد مصطلح "السّبك" عند الجاحظ من خلال قوله: "وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهوى يجري على اللسان كما يجري الدهان". [1]

فقد جاء المصطلح هنا بمعنى الصّياغة الجيدة، وتحقيق الانسجام ومنه يؤدي إلى خفة الشعر على اللسان وعذوبته في الأذن وقد ورد هنا الإفراغ، وهو في مقابل السبك ومرادف له. ويقول في موضع آخر: "وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر، تراها متّفقة مُلْسا، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقّ على اللسان وتكدّه. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية سلسة النظام، خفيفة على اللّسان حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد". [2]

ومن خلال قوله هذا يمكن القول أن للسبك عنده آليات منها سلاسة السياق اللفظي ومنه يؤدي إلى جودة الإيقاع فيكون الكلام مستحسنٌ غير مستكره.

وهكذا نستطيع القول أن مصطلح السبك يدل على جودة الصّياغة، والانسجام الذي يجعل الشعر عذبا خفيفا على اللسان ومن آلياته سلاسة السياق اللفظي.

-مصطلح التّنقيح:

التّنقيح لغة:

(نَقَحَ) الشيء- نقحاً: خلص جيده من رديئه.

ويقال: نقح الكلام أو الكتاب: هذّبه وأصلحه. [3]

وقد ورد مصطلح "التنقيح" عند الجاحظ بمعنى تنقية الشعر وتحليته بكل ما يزينه، ويكون ذلك بإعادة النظر فيه عدة مرات حتى يصير مستويا في الجودة.

وقد أورد الجاحظ في ذلك أبياتا من الشعر بقوله:

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وبَيْنَهَا   عَشِيَّةَ آرَامِ الكِنَاسِ رَمِيمُ.

رَمِيمُ التِي قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا   ضَمِنْتُ لَكُمُ ألاَّ يَزَالُّ يَهِيمُ

ألاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا   وَلَكِّنَ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ. [4]

وأنشد بن الأعرابي:

وَبَاتَ يَدْرُسُ شِعْراً لَا قِرَانَ لَهُ   قَدْ كَانَ نَقَّحَهُ حَوْلاً فَمَا زَادَا

([1]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص67.

([2]) المصدر نفسه، ج1، ص67.

([3]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: المصدر السابق، مادة [نَقَحَ]، ص944.

([4])الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 68.

وقال الآخر، بشار:

فَهَذَا بَدِيهُ لاَ كَتَحْبِيرِ قَائِلِ   إِذَا مَا أَرَادَ القَوْلَ زَوَّدَهُ شَهْراً.(1)

فالتّنقيح هنا إذن ورد بمعنى إعادة النظر والمكوث في ذلك وقتا معينا حتى يخرج القول، أو الشّعر منقّحا مستويا جيّدا.

ويكاد الشّعراء، والنّقاد العرب يجمعون على أن الشّاعر يعود إلى شعره فيقوّمه ويهذّبه، وينقّحه، يقول عديّ بن الرّقاع:

وَقَصِيدَةٌ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا   حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا

نَظَرَ المثَقَّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ   حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا.(2)

-مصطلح الفن:

الفن لغة:

هو من (فن) فلان- فنا أي: كثر تفننه في الأمور، فهو مِفَنٌّ، وفنّانٌ: و-الرجل.فنّاً: أتعبه

وهو التّطبيق العملي للنّظريات العلمية بالوسائل التي تحقّقها، ويكتسب بالدراسة والمرانة، وجملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة. و-جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال، كالتصوير والموسيقى والشعر، و-مهارة يحكمها الذوق والمواهب وجمعها (فنون).(3)

أما **اصطلاحا**: فهي الطّاقة التي يتميز بها الإنسان الموهوب، وتساعده على أن يخلق من خلال عمله الواعي، وأحيانا اللاواعي كائنات وأشياء لم توجد أصلا.(4)

كما وردت الإشارة إلى مصطلح "الفن" عند الجاحظ من خلال كتابه "البيان والتّبيين" منها قوله: "ولم يكن في هذه الأمّة بعد أبي موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن سيّار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد، ثم يونس النحوي، ثم المعلى، ثم قص في مسجده أبو علي الأسواري، وهو عمرو بن فائذ، ستا وثلاثين سنة، فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة، فما ختم القرآن حتى مات، [...] وكان يقص في فنون من القصص، ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك".(5)

فهذا المصطلح -إذن- يحمل دلالات ومعاني واسعة، منها معنى الجنس، ومعنى النوع، ومعنى الصناعة الكلامية.

(1) المصدر السابق، ج1، ص 68.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 244.

(3) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [الفنّان]، ص307.

(4) محمد بوزواوي: المصدر السابق، ص201.

(5) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص387،386.

كما جاء في موضع آخر: "وجه التدبير في الكاتب إذا طال أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن وجمهور ذلك العلم".(1)

فكان مفهومه – إذن- ومضمونه عند الجاحظ لا يخرج عن معنى الغرض والموضوع.

ومن خلال هذا نستطيع القول أن مصطلح "الفن" ما هو إلاّ كلمة صغيرة، لكن في طيّاتها معاني كثيرة وهي من أوسع الألفاظ انتشارا واستعمالا في اللغة العربية، قبل أن يتحدّد معناها الجمالي في هذا العصر، والذي يتراوح بين أغراض مختلفة وحقول متعدّدة.

-مصطلح الكلام:

الكلام لغة:

(كلّمه) –كَلْماً: جرحه فهو مَكْلُوم وكليم. (ج) الأخير كَلْمَى، (كالَمَهُ): خاطبه، (كَلّمهُ): تكليما: وجّه الحديث إليه. و–مبالغة في كَلَمَ، و (الكَلاَمُ): في أصل اللّغة: هي الأصوات المفيدة و (عند المتكلّمين): المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بألفاظ حتى يقال: في نفسي كلام. و–(في إصلاح النحاة) الجملة المركبة المفيدة نحو: جاء الشتاء، أو شبهها مما يكتفي بنفسه، نحو: يا على.(2)

هذا وقد ورد مصطلح "الكلام" عند الجاحظ في مواضيع متفرقة في مدونته منها قوله: "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزّئة مغنيّة، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصّرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه، وتقوى قائله".(3)

وفي موضع آخر يقول: قال الحسن: "لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن هم بالكلام تكلم به له أو عليه".(4)

فنجد مصطلح "الكلام" يتراوح بين التعبير باللغة في مقابل السكوت عند انقطاع القول وبين إيراد الألفاظ بمعنى الألفاظ وذلك من خلال قوله على لسان ابن المناذر: "أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم".(5)

(1) المصدر السابق ، ج3، ص366.

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [كلّمه]، ص796.

(3) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص83.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص172.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص19.

فنجد أن الكلام يقع بمعنى الألفاظ كما يقع عليه معنى النثر في مقابل الشعر الذي يوصف الكلام فيه عندئذ بالموزون.

-مصطلح اللّغة:

اللّغة لغة:

لَغَا في القول –لَغْواً: أي أخطأ وقال باطلا، ويقال: لغا فلان لغوا، تكلّم باللّغو ولغا بكذا: تكلّم به.

لغى في القول –لغاً: لغا: و–بالأمر: أولغ به. وبالشّيء: لزمه فلم يفارقه و(اللّغة) أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم وجمعها لغات ويقال: سمعت لغاتهم اختلاف كلامهم.[1]

ثم إن مصطلح "اللغة"، وردت الإشارة إليه عند الجاحظ في مواضع شتّى منها قوله على لسان أبي عبيدة: "كان أبوهم خطيباً، وكذلك جدّهم، وكانوا خطباء الأكاسرة، فلما سُبُوا وَوُلِد لهم الأولاد في بلاد الإسلام، وفي جزيرة العرب، نزعهم ذلك العرق، فقاموا في أهل اللغة كمقامهم في أهل تلك اللّغة، وفيهم شعر وخطب، ومازالوا كذلك حتى أصهر إليهم الغرباء ففسد ذلك العرق ودخله الخور".[2]

فجاء مفهومها هنا: بمعنى التعبير بالكلام الأدبي، وأنها وسيلة للمشاركة، ومدار الكلام.

ويقول في موضع آخر: "وكان إذا أراد أن يذكر البرّ قال: القمح أو الحنطة، والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية، هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة".[3]

فاتّخذت "اللغة" معنى اللفظ المستعمل على مخارج إحدى اللهجات العربية.

كما جاء في سياق آخر على لسانه أن: "أهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف في الألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر"

فاللّغة بهذا تحمل معنى اللهجة، وهي لغة غير لغة قريش وعليه نستنتج بأن للجاحظ آراء "ناقدة للّغة" خاصة إذا اجتمع لغتين في لسان الواحد فيدخل الضيم عليهما معا، ويتعذّر الإبداع بالتالي في أكثر من لغة واحدة في اللّسان الواحد.[4]

ويبدو هذا من خلال قوله على لسان أبي عثمان "هي أربعة أحرف القاف، والسين، واللام، والراء، فأما التي هي على الشّين المعجمة فذلك شيء لا يصوّره الخط، لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنّما هو مخرج من

([1]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المرجع السابق، مادة [لغا]، ص831.

([2]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص308.

([3]) المصدر نفسه، ج1،ص17.

([4]) ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة1، ص189.

المخارج، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها، وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخوز، وفي سواحل البحر من أسياف فارس". [1]

-مصطلح الفكرة:

الفكرة لغة:

هي من (فَكَرَ): في الأمر-فكراً أي أعمل العقل فيه، ورتّب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول.

وتفكّر في الأمر: افتكر.

والتّفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها. ومنها "الفكرة": وهي الصّورة الذّهنية لأمر ما (ج) فكر. [2]

وقد تحدث الجاحظ عن مصطلح "الفكرة" حين قال: "وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة... وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال". [3]

فكان مقصوده من "طول الفكرة" هو إعمال الفكر والذّهن، هذا وإنه في موضع آخر يذكر كلام على بن الحسين بن علي رحمه الله بقوله: "لو كان النّاس، يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة، وجملة الحال في صواب التّبيين، لأعربوا عن كل ما تخلّج في صدورهم، و لوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم، وعلى أنّ درك ذلك كان لا يعدّ مهم في الأيام القليلة العدّة، والفكرة القصيرة المدّة". [4]

فيركّز هنا على الفكرة القصيرة حسب الزّمن، والمدّة إذ قد تكون الفكرة طويلة، لذلك فكلّما كان الاسم واضح المعنى أغناك عن الاستعانة بالفكرة من أجل استيعاب معناه.

كما أنّ "الفكرة" هي الذّهن الذي يجال من قول بشر المعتمر: "فإن ابتليت بأن تتكلّف القول، وتتعاطى الصّنعة، ولم تسمح لك الطّباع في أوّل وهلة، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر". [5]

وفي الأخير نستطيع القول أن الفكرة عنده ما هي إلا تصوّر يجول في الذّهن، ويعمل فيه باستمرار، وتجلّيها في الفكر يمكن أن يقصر كما يمكن أن يطول ولعل المصطلح المقابل لها في العصر الحديث هو مصطلح "الفكرة" ذاته.

---

(1) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص34.

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [فكر]، ص698.

(3) الجاحظ: المصدر السابق، ج3، ص28.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص84.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص138.

-مصطلح الصّواب:

الصّواب لغة:

(صَابَ) المطر-صوباً، وصيبوبة: انصبّ.

و (أصاب): لم يخطئ. و-الشيء: أدركه.

و (صَوَّبَ) السهم: وجّهه وسدّده. وفلاناً: قال له: أصبت ومنه: "إن أخطأت فخطّئني، وإن أصبت فصوّبني.

و (الصّواب): السّداد. و-الحق.[1]

هذا وقد ورد مصطلح "الصواب" عند الجاحظ وذلك من خلال قوله: "وهم يمدحون الحذق، والرّفق والتخلّص إلى حبّات القلوب وإلى إصابة عيون المعاني".[2]

فهو هنا: بمعنى الوصول إلى عيون المعاني والتّعبير عنها بأقصى ما يمكن من الدّقة والوضوح.

ويقول في موضع آخر: "ويقولون: أصاب الهدف، إذا أصاب الحق في الجملة، ويقولون: قرطس فلان وأصاب القرطاس إذا كان أجود إصابة من الأول، فإن قالوا: رمى فأصاب الغرّة، وأصاب عين القرطاس، فهو الذي ليس فوقه أحد".[3]

وهنا نجده يتحدث عن إصابة الحق التي تكون بالقول ومنه فالصواب هو صواب القول، وصواب الحكم والرأي وبلوغ درجة عليا في ذلك، ليس فوقها درجة أخرى ومنه فالصّواب عند الجاحظ يعني الوصول بالتّعبير عن المعنى إلى أقصى درجة ممكنة من الدّقة والوضوح من غير أخطاء في القول ومنه صواب الحكم، والرأي وصواب القول.

-مصطلح الملاحة:

الملاحة لغة:

(مَلُحَ): الماء –مُلوحةً، ومَلاحةً: صار مِلحاً، وهو مليح أيضا، ومالح، و-الشّيء ملاحة: بهج وحسن منظره، فهو مليح.

و(المِلاحُ): أن تهبّ الجنوب بعد الشّمال، و-الرّيح، تجري بها السفينة، و-سِنّانُ الرُّمحِ.

و الملاحة: حرفة المِلاّح، والمِلاّحةُ: مكان تكوّنُ الملح أو بيعه.[4]

([1]) مجمع اللغة العربية: المصدر السابق، مادة [صهرج]، ص527.

([2])الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص147.

([3]) المصدر نفسه، ج1، ص147.

([4]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق،مادة [مَلَحَ]،ص883.

وقد أشار الجاحظ إليه بقوله: "وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسّخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثّقيل، وكله عربي، وبكلّ قد تكلّموا، وبكلّ قد تمادحوا وتعايبوا، فإن زعم زاعم أنّه لم يكن في كلامهم تفاضل، ولا بينهم في ذلك تفاوت".(1)

وعليه فالملاحة عنده: صفة من صفات الكلام الحسن، وقد عدّد لنا كلام الناس الذي يتكوّن من طبقات والنّاس كذلك.

ونجد في سياق آخر لمعناه، في قوله أيضا: "وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب العيّ ،واللّحن، والغلط والغفلة، أبوابا طريفة، ونذكر فيها النوكي من الوجوه، ومجانين العرب، ومن ضرب به المثل 225 منهم، ونوادر من كلامهم، ومجانين الشعراء، ولست أعنى مثل مجنون بني عامر، ومجنون بني جعدة، وإنما أعني مثل أبي حية في أهل البادية، ومثل جعيفران في أهل الأمصار، ومثل أريسيموس اليوناني".(2)

فالجاحظ هنا ذكر على لسانه العديد من الأدباء، ويقصد بهم المليح والملحاء، وهم أصحاب الظريف والّنكت التي تريح راحة البال، والتي ينشغلون عليها في هذا الحيّز.

كما نجد في موضع آخر قوله: ومن هذا الجنس من الأحاديث، وهو يدخل في باب الملح، قول الأصمعي: "وصلت بالعلم، ونلت بالمُلح".(3)

وقال أيضا: "واللّحن من الجواري الظّراف، ومن الكواعب النواهد، ومن الشّواب الملاح، ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر، وربما استملح الرجل ذلك منهن، ما لم تكن الجارية صاحبة تكلّف، ولكن إذا كان اللّحن على سجية سكان البلد، وكما يستلحون اللثغاء إذا كانت حديثة السن، ومقدودة مجدولة، فإذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح".(4)

وعليه فإنه من خلال هذين القولين نستنتج أنّ: مصطلح الملاحة عند الجاحظ هو الحديث الممتع والنادر الظريف.

وإن كان قد لمح إليه الجاحظ فقط دون ذكر لفظه، ويعد صفة من صفات الكلام الحسن والجيد، وهي إسم مسمى فهو الظريف والمليح، وصاحب النكتة، النادر، والحديث الممتع، وبه يتغنى الأدباء بأقلامهم وحبرهم.

---

(1) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص144.

(2)المصدر نفسه، ج1، ص385.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص199.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص146.

-مصطلح الجودة:

الجودة لغة:

(أَجْوَدَ): أتى بالجيّد من القول أو العمل، و-كان ذا فرس جَوَادٍ.و-الشّيء وفيه: أجاده(استجاد)الشّيء: تجوّده.و-عدّه جيّدا.

و-فلانا: طلب جُودَه(الجودة) جودة الفهم: (في اصطلاح أهل النّظر): صحّة الإنتقال من الملزومات إلى اللّوازم.[1]

ورد هذا المصطلح عند الجاحظ بمعنى الصّفة التي تعلو مرتبة الحُسن، فيقول في هذا الصّدد: "وقال مرّة: ما رأيت أحدا كان لا يتحبّس ولا يتوقّف، ولا يَتَلَجْلَج ولا يتنحنح، ولا يرتقب لفظاً، قد استدعاه من بُعد، ولا يلتمس التّخلّص إلى معنى قد تعصّى عليه طَلَبه، أشدّ إقتدارا، ولا أقل تكلّفا، من جعفر بن يحيى".[2]

فنحن هنا نجده يشير إلى مصطلح الجودة، ويقصد به الإختصار في الكلام، وهي جامعة للمعاني.

وفي موضع آخر يقول: "وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة، وجودة اللّهجة والطّلاوة".[3]

فنجده هنا كذلك يذكر مصطلح "الجودة"، بمعنى جودة اللّهجة والطّلاوة، إلاّ أنّنا نجدها غامضة لا نعلم لها وجهاً من وجوه المعنى، هل من جهارة الصّوت، أم بالنّطق السّليم بالحروف.

كما ذكر تعريف آخر للمصطلح حين وقف على مفهوم البلاغة بقوله:

"البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج(...) ومنها ما يكون رسائل، فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة".[4]

فربط هنا مصطلح "الجودة" بمعنى بلاغة الإفهام أساسا، لأن عملية الفهم والإفهام هي مدار البيان وغاية وهدف البلاغة، هو التّقيّد بالشّروط المفروضة على البليغ.

فتعدّدت بذلك مفاهيم المصطلح بتعدّد أهدافه.

والجودة صفة تحتلّ مرتبة الحُسن، ونجدها تتنوّع بتنوّع الغرض فمنها جودة الاختصار واللّهجة، وجودة البلاغة.

---

(1) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة [استجادَ]، ص 145.

(2) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 102.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 91.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 115،116.

-مصطلح الإغراق:

الإغراق لغة:

(غَرِقَ) في الماء-غَرَقاً: غلبه الماء فهلك بالاختناق أو كاد، فهو غرِقَ، وغارقُ، وغريق (ج) الأخير: غرقى (استغرق): في الضّحك: بالغ فيه، والشّيء: واستوعبه.(1)

هذا المصطلح ورد في قولٍ على لسانه إذ يقول: "وباب آخر: وقال بعض الرّبانيين من الأدباء، وأهل المعرفة من البلغاء ممّن يكره التّشادق والتّعمق، ويُبغِض الإغراق في القول، والتّكلّف والاجتلاب، [...]فقال في بعض مواعظه "أُنْذِرُكُمْ حُسْنَ الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام، فإنّ المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا، وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلّم دالاّ متعشّقا، صار في قلبك أحلى، ولقلبك أملاً".(2)

فقد يتبيّن لنا أنّ مصطلح "الإغراق"، هو التّجاوز للعفويّة والطبعيّة، لأنّها أساس الاكتشاف والإبداع، ومنطلق للبلاغة، وبهذا يتطلّب الصّنعة الأسلوبية لدى الأديب، لكي يصير في القلب أحلى، ويقرؤه القارئ لكي لا يحسّ بالملل والضّجر.

-مصطلح الحلاوة:

الحلاوة لغة:

(حلا) الشّيء-حَلَاوة: كان حُلواً: يقال: حلتِ الفاكهة: طابت.

و-الشّيء له في عينيه: لذّ وحسُنَ، فهو حُلْو (تحالى): تكلّف الظّرف والحلاوة (الحَلِيَّ) من الأشياء: البالغ الجودة والحلاوة.(3)

مصطلح "الحلاوة" في كتاب "البيان والتّبيين" واضح في قوله: "وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأنّ ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزّين به المعاني".(4)

فمن خلال هذا القول يتبيّن لنا أنّ هذا المصطلح قد أشار إليه الجاحظ إشارة دقيقة فقط، وهو مصطلح مرادف لمصطلح الطّلاوة، والسّهولة، وأنّ المنطق يستعين به في جماليّة ألفاظه، ويطلقها في صدد إطراء المعنى أحياناً.

ونجده في موضع آخر يقول: فإن كان الخطيب متكلّما تجنّب ألفاظ المتكلّمين، كما أنّه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفا، أو مجيبا، أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلّمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهَمَ، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحنّ، وبها أشغف".(5)

(1) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة[الغرقد]، ص 650.

(2) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 254.

(3) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة [حلا]، ص 195.

(4) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 14.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 139.

والملاحظ هنا أنّه قد أشار إليها على أنّها صفة للأشخاص لا للألفاظ العذبة، والكلمات السّهلة، لأن الأدباء بصفة عامّة قد استخدموه كعذوبة للطّبع، التي يتّصفُ بها الأدباء الذين يستعينون بالحلاوة.

فهي صفة أدبيّة لا غير، إذ هي تصاغ تارة على جماليّة اللّفظ، وتارة أخرى تطلق لأجل إطراء المعنى، كما أنّها ترادف الطّلاوة، والجزالة، والفخامة.

-مصطلح الزّخرف:

الزّخرف لغة:

(زَخْرَفَهُ): زيّنهُ وكمّل حُسنهُ.

يقال زَخْرَفَ القول: حسّنه بترقيش الكذب.

(تَزَخْرَفَ): تزيّن. (الزّخرُفُ): الذهب.و-الزّينة كما قال حسن الشّيء وزخرف الأرض: ألوان نباتها، وزخرف القول: حسنُهُ بتزيين الكذب، (ج) زخارف.[1]

ورد مصطلح "الزّخرف" عند الجاحظ بقوله: "والمعاني إذا كسبت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرّفيعة، تحوّلت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها، بقدر ما زيّنت، وحسب ما زُخْرِفَتْ فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري، والقلب ضعيف".[2]

نستطيع هنا الكشف عن طبيعة هذا التّزيين وطرائقه على حسب مفهومه عنده، لأنّ الأديب من خلاله قادر على تحقيق غايته من بلاغة اللّفظ والمعنى.

وعليه فإنّ مصطلح "الزّخرف" ما هو إلاّ تزيين للكلام، بالوسائل الإبداعية التي يستعين بها الأديب للوصول إلى هدف لتحقيق الغاية المنشودة منه.

-مصطلح القبح:

القبح لغة:

(قَبَّحَ) الله فلاناً-قبحا، وقبوحا: أبعده من كلّ خير، فهو مقبوح، (قَبُحَ) الشيء-قُبْحاً، وقباحة، ضدّ حُسن و(القُبْحُ): ضدّ الحُسن-ويكون في القول، والفعل، والصّورة، وما نفّر-الذّوق السويّ.[3]

ورد مصطلح "القبح" على لسان الجاحظ بقوله: "فمن الكلام الجزل والسّخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسّمج، والخفيف والثّقيل وكلّه عربي".[4]

فهذا المصطلح يناقض الحسن من الكلام، وينعت بها المعنى واللّفظ دون تمييز.

([1]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة [زَخرَ]، ص 391.

([2]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 254.

([3]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة [القَبَحُ]، ص 710.

([4]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 114.

كما نجده في موضع آخر يقول: "وكان واصل بن عطاء قبيح اللّثغة شنيعها، وكان طويل العنق جدّا ولذلك قال بشّار الأعمى:

مَالِي أُشَايِعُ غَزَّالاً لَهُ عُنُقُ   كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلاَ
عُنْقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وبَالُكُم   أَتُكْفِرُونَ رِجَالاً أَكْفَرُوا رَجُلاً". [1]

فمصطلح "القبح" إذن كما في اللّفظ أو المعنى، ما هو إلاّ إفتقار الكلام إلى الفصاحة والبلاغة، كما في مثال واصل بن عطاء الذي يعتبر قبيح اللّثغة، وهي أن تشوبَ اللّثغة بعض الحروف مثلا.

وعليه فإنّ مصطلح "القبح"، كلمة صغيرة لكن في طيّاتها تحمل معانٍ متعدّدة، فهي مناقضة للحسن والجودة، وأنّ أصولها تفتقر إلى حسن البلاغة والفصاحة.

المبحث الثّاني: مصطلحات في البلاغة والأدب.

-مصطلح الإئتلاف:

الإئتلاف لغة:

هو: "الاجتماع، والاتفاق، والتّآلف، والالتئام".

يقال: " أَلِفه، وإِلْفا، وأَلْفا، وإلافا: أنس به وأحبه.

وائتلف الناس: اجتمعوا، وتوافقوا، والألفة: الاجتماع، والالتئام". [2]

وفي لسان العرب:

ألفت الشيء وآلفته بمعنى واحد لزمته، فهو مؤْلَفُ ومَألوف وأَلَفتِ الظّباء الرّمل إذا أَلِفَتْهُ: قال ذو الرّمة:

من المؤلِفاتِ الرَّمْلَ أدْماءُ حُرَّةٌ   شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِهُا يتوضَّحُ

وأَلِفت الشّيء وأَلِفتُ فلانا إذا أنِست به، وألّفت بينهم تأليفا، إذا جَمَعت بينهم بعد تفرُّق، وألَّفتُ الشّيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض، ومن تأليف الكتب، وألّفت الشّيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض. [3]

أما اصطلاحا:

فـ"الائتلاف" تقابله الملائمة، وهو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني: فتُختار الألفاظ الجزلة، والعبارات القوية للفخر، والحماسة، وتُختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللّينة للغزل والمديح. [4]

وقد أشار الجاحظ إلى "مصطلح الائتلاف" من خلال قوله "ومن الخطباء والشّعراء من يؤلّف الكلام الجيّد". [5]

([1]) المصدر السابق، ج1، ص 16.

([2]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [ألف]، ص 54،53.

([3]) ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج2، مادة [ألف]، ص133.

([4]) محمد عزام: المرجع السابق، ص11.

([5]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص40.

فهو هنا يرى أنّ التّأليف يكون بطريقة جيّدة من خلال وضع الكلام، وإنشاءه شعراً كان هذا الكلام، أو نثرا، وإذا ما ذهبنا إلى قدامة في كتابه نقد الشّعر نجد الائتلاف يعني الجملة التي تجعل من الشّعر وحدة مجتمعة عن طريق ضمّ عناصره، وجمع أجزائه، ومن الطّبيعي أنّ أقسام الشّعر ما كانت لتجتمع وتأتلف ما لم يتوفّر لها صفة الانسجام والقدرة على التّأليف.[1]

فـ"الائتلاف" بهذا المعنى عند قدامة يقترب من المعنى اللّغوي، أما تعريف الجاحظ فيقترب من المعنى الاصطلاحي الذي أوردناه في هذا السياق.

-مصطلح الحوشي، والوحشي:

الوحشي لغة:

الوحشيّ: واحد الوَحْش، والجانب الأيمن من كلّ شيء- ومن الحيوان: الجانب الذي لا يُحلب منه ولا يركب. و-من اليد، والرِّجل، والقدم: ما لم يُقْبِل على صاحبها منها.[2]

أما اصطلاحا:

"فالوحشي": هو الغريب من الألفاظ، وهو "ما نفر عنه السّمع وسُمّي"وَحشيّا" نسبة إلى الوَحش لنِفاره وعدم تأنُّسه وتألُّفه.

وربما قيل "الحوشيّ" نسبة إلى "الحوش" وهي النفار، قال القَلْقشنديّ: فالغريب والوَحشيّ والحوشيّ كلّه بمعنى واحد.[3]

ولعلّ كلّ من الدّلالة اللّغوية، والاصطلاحية تلتقي في الدّلالة على السّلب، والتّرك، والنّفور، وعدم الأنسة.

هذا وقد أشار الجاحظ إلى هذا المصطلح بقوله:" وكما لا ينبغي أن يكون اللّفظ عاميّا ساقطا سوقيّا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من النّاس كما يفهم السّوقي رطانة السّوقي".[4]

وعليه "فالوحشيّ" عنده هو اللّفظ الغريب عن اللّغة، وهو خاص بالوحشيّ من النّاس وهو البدوي الأعرابي.

([1]) محمّد عزّام: المرجع السابق، ص11.

([2]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [وَحش]، ص1018.

([3]) أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي، المصدر السابق، ص440.

([4]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص37.

وقد جعل قدامة الحوشي، والوحشي من عيوب اللّفظ فقال: "أن يكون اللّفظ ملحونا، وجاريا على غير سبيل الإعراب واللّغة وأن يركب الشّاعر منه ما ليس بمستعمل إلاّ من الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذًّا، وذلك هو الوحشيّ الذي مدح به عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكّبه إيّاه، فقال:" كان لا يتبع حوشي الكلام".[1] فكان كليهما عنده بمعنى واحد.

وقد حدّد قدامة بعض صفات اللّفظ "الوحشي"، وعنى به الغريب غير المألوف، وعليه فهو يلتقي مع الجاحظ، فالحوشي والوحشيّ عندهما اللّفظ الغريب عن اللّغة، الغير المألوف، والواجب تجنّبه وعدم استعماله.

-مصطلح الأدب:

الأدب لغة:

الذي يتأدّب به الأديب من الناس، وقد سميّ أدباً لأنه يَأدِبُ النّاس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدّعاء.

ومنه قيل للصّنيع يُدعى إليه النّاس: مدعاة ومأدبة.غيرهُ: الأدب: "أدب النّفس والدّرس، والأدب الظّرف وحسن التناول، وأدُب، بالضم فهو أديب، من قوم أدباءَ".[2]

ولكلمة "أدب" (litterature) معنيان: معنى مادّي من أدَبَ مأدُبَةً بمعنى أوْلَمَ وليمةً، ومعنى روحيّ تطور عبر الزّمن فاستعملت الكلمة بمعنى الخُلقِ، والتّهذيب، والكياسة في القول، والتّصرّف.

وبمعنى المعرفة الموسوعيّة، والاقتدار على فنون القولِ والكتابة وأنواع العلوم، ومن هذا الباب" المؤدّب: الذي كان يُنتدب لتعليم أولاد الخلفاء، والوجهاء".

واستعملت بمعنى مهنة الفكر، وصناعة الكتابة، والتّأليف، أمّا المعنى المتعارف عليه اليوم فهو: التّعبير اللّغوي الفنّي الجميل عن الكون، والحياة، والإنسان.[3]

وعليه فالأدب في اللّغة يعود إلى التأدّب، والتوجّه إلى المحامد وكل ما هو حسن.

وكما استعملت بمعنيين: مادّي بمعنى المأدُبة والوليمة، وروحي تطوّر عبر الزّمن، واستعمل بمعانٍ مختلفة بدءًا من الخلق والتهذيب، ثم استعمل للدّلالة على المعرفة ككل وما تشتمل عليه من خطابة وكتابة وغيرهما.

كما استعملوه بمعنى مهنة الفكر، وهكذا تطوّر مفهوم مصطلح " الأدب" إلى أن وصل إلى حاصل إليه اليوم فالأدب كما سبق وذكرنا " التّعبير اللّغوي الفنّي الجميل عن الكون والحياة والإنسان".

هذا وقد ورد المصطلح في كتاب" البيان والتّبيين" من خلال قوله: "فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن فإذا أردت أن تتكلّف هذه الصناعة، وتُنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة، أو

---

(1) محمد عزّام: المرجع السابق، ص150.

(2) ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، مادة [أدب]، ص70.

(3) محمّد بوزواوي: المصدر السابق، ص15،14.

حبّرت خطبة، أو ألّفت رسالة، فإيّاك أن تدعوك ثقتك بنفسك، أو يدعوك عُجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدّعيه، ولكن اعرِضه على العلماء في عُرْض رسائل أو أشعار أو خطب، فإذا رأيت الأسماع تصغي له، والعيون تَحدِجُ إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه، فانتحله".[1]

"فالأدب" هنا جاء بمفهومه العام، ولم يقصّره الجاحظ على الشّعر أو النّثر، وهو يعني التّعليم والتّثقيف والخلق الحسن.

-مصطلح الحوليات:

الحوليات لغة:

(حال) الشيءُ – حوْلاً: مضى عليه حوْل. و- الحوْلُ ثمَّ و الشيءُ تغيّر.

يُقال: حال اللون وحال العهدُ، والشيءُ: اعوجّ بعد استواء.

(الحَوْلُ): الحركةُ والتحوُّل.- والسّنة (ج) أحوال، و- الحِذق وجودة النَّظَر، و القدرة على دقّة التصرّف في الأمور.[2]

"والحوليات" مصطلح من العصر الجاهليّ معناه القصيدة الّتي يقضي صاحبُها في إعدادها، ونظمها وتنميقها، وصقْلها عَاماً من الزّمن، تَوخياً للإجادة، والإتيان بصنيع متكامل العناصِرِ وأشهرها حوليات زُهيْر بن أبي سُلمىَ.[3]

هذا وقد أشار الجاحظ إلى مصطلح "حوليات" من خلال قوله: "إنّ من شعرائهم من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتا (كاملا)، وزمنا طويلا، يردّد فيه نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلّب فيها رأيه... وكانوا يسمّون تلك القصائد (الحوليات)، و(المقلّدات)، و(المنقّحات)، و(المحكمات)، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعراً مفلقا".[4]

ومنه فمصطلح "الحوليات" يعني القصائد التّي تمكث عند صاحبها حولا كاملا من أجل النّظر فيها.

-مصطلح الإشارة:

الإشارة لغة:

(أشار) إليه وبيدِهِ أو نَحْوَها: أوْمأ إليه معبّرًا عن معنى من المعاني، كالدّعوة إلى الدخول، أو الخروج، و-عليه بكذا: نصحه أن يفعله مبيّنًا ما فيه من صواب، و- فلانًا على العمل: أعَانَهُ على شَوْره، أي جَنْيِهِ.

-(اشْتَوَرَ) القومُ: شَاوَرَ بعضهم بعضا.

---

(1) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص229.

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [حال]، ص 209،208.

(3) محمّد بوزواوي: المصدر السابق، ص111.

(4) الجاحظ: المصدر السابق، ج2، ص9.

اسْتَشَارَ فلانٌ: لَبِسَ شَارَةً: لِباساً حَسَناً، وأَمْرُهُ: تبَيَّنَ واسْتَثَارَ.

و- فلاناً في كذا أو في الأمر: شَاوَرَهُ.

-(الإشارة): تعيين الشيّء باليد ونحوها، والتّلويح بشيءٍ يفهم منه المراد.(1)

-ذكر الجاحظ "الإشارة" في كتابه "البيان والتّبيين" فقال: "فأما الإشارة باليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب والمنكب إذا تباعد الشّخصان، وبالثّوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجراً رادعا ويكون وعيدا وتحذيراً.(2)

فهي عنده عبارة عن حركات يقوم بها الإنسان، ويصدرها بوسائل عدّة، قد تكون بحركات من أشياء معنوية كاليد، والرأس، والعين، والحاجب، والمنكب، وقد تكون بحركات من أشياء معنوية كالثوب والمنكب.

كما يقرن في موضع آخر من الكتاب "الإشارة" باللّفظ بقوله: "والإشارة، واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ، وما تغني عن الخطّ".(3)

ومنه تشترك الإشارة مع اللّفظ في إبلا غ المعنى، وأدائه وكثيرا ما تنوب عنه.

قد عرّفها العسكري بقوله:" أن يكون اللّفظ القليل مُشَارًا على معان كثيرة بإيماء، أو لمحة تدل عليها".4

فالإشارة عنده تدلّ على الإيجاز والاختصار، أمّا عند الجاحظ فهي بوسائل كثيرة قد تخدم اللّغة سواء بالكلام أو بالاستعانة بها في الكلام.

-مصطلح السرقات الشّعرية:

السرقات لغة:

سرق: سارقُ بيّن السَّرِقة والسّرَق والسّرِقَ.

يقول بائع العبد: برِئت إليك من الإباق والسَّرق.... وهذه سُراقة فلان: لما نال من السَّرِقَة: وبما سمي سُراقة ومعه من سُراقات الشّعر، قال ابن مقبل: [من الطويل] وأمّا سُرَاقاتُ الهجاء فإنني أنا ابن حلا قد تعرفون مكانيا.

ومن المجاز: استرق السّمع، وسارقه النّظر.

واسترق الكاتب بعض الحسابات إذا لم يبرزه....(5)

ولقد عرّف الجاحظ مصطلح "السّرقات الشّعرية": بأنّه أخذ الشّعراء بعضهم معاني بعض.

---

(1) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [شَابَ]، ص499.

(2) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص57.

(3)المصدر نفسه، ج1، ص57.

(4) محمد عزام: المرجع السابق، ص 38.

(5) أبي القاسم جار اللّه محمود بن أحمد الزّمخشري: أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مادة [سرق]، ص 252،251.

كما جاء عن الجاحظ أن هذه السّرقات لا تكون في مطلق معنى، وإنّما تكون في المعنى الغريب العجيب أو في المعنى الشّريف الكريم، أو في المعنى البديع المخترع، كما تكون بأخذ معاصر من معاصر أو بأخذ متأخّر من متقدّم.

ولأنه من أوائل النقّاد الذين عرضوا لمشكلة السّرقات الشّعرية ككل، ولمفهوم هذا المصطلح النّقدي بخاصّة فإنه نظر إليها بعين النّاقد البصير، وجاء على أثره سائر النقّاد من أمثال ابن طباطبا، والمرزباني، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، عبد القاهر الجرجاني...إلخ.[1]

يقول: في هذا الموضع وهو يتحدث عن صميم مفهوم السرقات: "لا يُعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى عجبيب غريب، أو في معنى شريف كريم(...) إلا وكل من جاء من الشعراء، من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدّعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشّعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه".[2]

وإذا أردنا أن نمثّل لهذا المفهوم، نقول "أنّ الجاحظ ربّما تعرّض لهذه المسألة حين تناول مواضيع معينة مثل: موضوع العصا، وكيف وردت فيها أبيات من الشّعر متفرّقة كثيرة خاصة حين يذكر بيتا ليزيد بن مفرّغ في قوله:

العَبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا   والحُرُّ تَكْفِيهِ المِلامَةُ.[3]

ثم يعلّق على موضوع هذا البيت بقوله"قالوا: أخذه من الفلتان الفهمي حين قال:

العَبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا   والحُرُّ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ !".[4]

وهكذا تواردت هته الأبيات، مأخوذ معناها عن معنى أولاها ومأخوذ بعضها عن بعض، وكذلك يجري سياقها في سياق بعضها الآخر، و بالتالي فإن مصطلح "السرقات" يعني أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض، فقد يأتي شاعر متأخر فيأخذ معاني شاعر متقدم.

فقضيّة "السرقات" التي جاءت في حديث الجاحظ، والذي ينكر ثبوتها للعرب بوصفه لهم أن" كل شيء يتعلّق بهم فإنّما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكرة ولا استعانة(...) وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتدى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقلهم، من غير تكلف، ولا قصد، ولا تحفظ، ولا طلب...".[5]

([1]) قصي الحسين: المرجع السابق، ص312.

([2]) الجاحظ: المصدر السابق، ج3، ص 326.

([3]) المصدر نفسه ، ج3، ص 36،37.

([4]) المصدر نفسه، ج3، ص37.

([5]) المصدر نفسه، ج3، ص28.

وعلى هذا الأساس راح ينكر "السرقات" عن العرب، ويثبتها للأمم الأخرى الأجنبية والأعجمية، وخاصة الفرس، والهند، والروم.

غير أننا نعتقد أن الجاحظ وقع آخر الأمر فيما فرّ منه أوّله فبعد إثباته وجود التّناص (السرقات) للأمم الأخرى، نلفيه يقرّ من حيث لا يشعر بتناصيّة كلام الأدباء العرب مع سواهم ممن سبقوهم خصوصا، وذلك حين رأى أنهم "لم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم من غير تكلف، ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب". [1]

وعليه فمصطلح "السرقات" وجد وتبلور انطلاقا من المفهوم الذي يعنيه، وانطلاقا من قضية كانت موجودة منذ القديم، واستمرت إلى زمننا الحالي، كما أنها لم تقتصر على الشعر بل امتدت إلى مختلف النصوص فالأخذ عنده يعني السرقات، وربما كان الأخذ بعض البيت، وربما كان أكثر من بيت وقد تغير الموقف بعد ظهور الاتجاه الجديد في شعر جماعة المحدثين من أصحاب البديع حيث ألى هؤلاء على أنفسهم أن يجدّدوا في المعاني والأساليب، وكان النقاد لهم بالمرصاد، ولم يتقبلوا تجديدهم ذلك بسهولة، فتعقّبوهم للازدراء بما قالوا من شعر فعابوا اللّغة، واتّهموا أساليبهم بالضّعف، وكذلك رموهم بالسّرقة والاتّكاء على القدماء في معانيهم وأساليبهم كذلك. [2]

ولعل مفهوم مصطلح "السرقات" ظل هو نفسه منذ أن عرفه الذين سبقوا الجاحظ، ومن عاصروه، والذين جاؤوا من بعده،إلى غاية العصر الحديث والمعاصر ،مع ظهور المصطلحية، فظهرت مصطلحات محدّدة من قبيل التّناص لكنها تدور في نفس المفهوم مع تحديدات معينة.

ومصطلح "السّرقات الشعرية" يقابله في الاصطلاح المعاصر مصطلح "التّناص".

-مصطلح الاستعارة:

الاستعارة لغة:

جاء في المعجم الوسيط:" (أعاره) الشيء إعارةً، وعارة: أعطاه إياه عاريّة." [3]

أمّا في الاصطلاح فتعني أن نستعمل اللّفظ ونحن نقصد به معنى آخر من أجل المبالغة في التشبيه، ولا بد من ذكر القرينة.

أما تعريفها في كتاب "البيان والتبيين" ففي قول الجاحظ:" هي تسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه". [4]

إذ يشترط هنا قيام المستعار منه مقام المستعار حتى نسمي الشّيء باسم غيره.

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص28 ، 29.

(2) محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص70.

(3) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [أعور]، ص236.

(4) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص153.

فلا يجوز تسمية الشّيء باسم غيره إلاّ إذا قام مقامه، لكن هذا التعريف الذي يقدّمه لنا لا يعد ممتنعا، إذ من الممكن دخول أنواع أخرى من المجاز تحت هذا المفهوم فمن خلال استعراض الأمثلة التي يسوقها لنا يتّضح لنا أنّ من بينها ما يعدّ من الاستعارة، وما يعد من المجاز المرسل.(1)

في حين ذهب ابن قتيبة (ت276هـ) إلى أنّ "العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها أو مشاكلا".

فالتّعريف هنا ينطبق أكثر على الاصطلاح من تعريف الجاحظ وإن شمل المجاز في وجوهه وعلاقته.(2)

أمّا في كتاب "التّعريفات" للجرجاني فإنّنا نجده يعرّف الاستعارة بأنها: "إدّعاء معنى الحقيقة في الشّيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبّه من البين كقولك "لقيت أسدا، وأنت تعني به الرجل الشّجاع، ثم إذا ذكر المشبّه به مع ذكر القرينة يسمّى استعارة تصريحيّة، وتحقيقية نحو لقيت أسدا في الحمّام".(3)

فهي لا تخرج عن كونها تعني استعمال لفظ، وقصد معنى آخر من ورائه.

وهكذا عرّف القدماء، والباحثون العرب "الاستعارة" وإن كانوا اختلفوا في بعض تحديداتها فالجاحظ يشترط في تسمية الشيء باسم غيره قيامه مقامه، وابن قتيبة ذهب إلى استعارة الكلمة ووضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمّى بها بسبب من الأخرى، أو كان مجاورا أو مشاكلا لها.

أمّا الجرجاني فقد اشترط طرح ذكر المشبّه من البين.

-مصطلح الغريب:

الغريب لغة:

هو من غرب الشيءُ- غَرَبًا أي: اسودّ والعينُ: وَرِمَت مآقيها. و-الشاه والفرس: أصابهما داء الغرب.

وغَرُبَ: عن وطنه- غُرْابَة. وغُرْبَةً: ابتعد عنه. والكلامُ غَرَابَةً: غَمَضَ وخَفِيَ، فهو غريب(ج) غرباء، وهي غريبة (ج) غرائب.

ومنه: أَغْرَبَ أي: أَتَى الغَرْبَ، وصار غَرِيباً. وارتحل.وجاء بالشّيء الغريب و-في كلامه: أتى بالغريب البعيد عن الفهم. وفي الأرض: أَمْعَنَ فيها فسافر سَفَراً بَعِيداً.

ويقال: رمى فأغرب: أبعد المرمى. وفي الضحك بالغ.(4)

---

(1) أحمد يحي علي محمد: المصطلحات البلاغية والنقدية في شرح أبي العلاء لشعر المتنبي "معجز احمد"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الموصل، سنة 2005م، ص87.

(2) المرجع نفسه، ص 87.

(3) الشريف الجرجاني: المصدر السابق، ص41.

(4) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [غربت]، ص647.

أمّا **اصطلاحا:** فهو يعتبر مصطلحا نقديا دالاّ على ارتباط فريق من النّقاد القدامى وهم الرّواة وعلماء اللّغة، بالأصالة اللّغوية، وتمسّكهم بالفصيح والمتين، وقد كان إيراد الغريب، والاعتداء به سمة حسنة تدل على استيعاب الشاعر للغة، وإلمامه بخباياها.[1]

وقد أشاد الجاحظ بذلك وهو عنده: اللّغة الغير المتداولة والمنتشرة بشكل واسع على الساحة الفنية النادرة يقول:" وكأنّ سفيان بن الأبراد الكلبي كثيرا ما يجمع بين الحار والقار فتساقطت أسنانه جمع، وكان في ذلك كله خطيبا بيّنا".[2]

وقوله أيضا:"وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعربيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات".[3]

أما نظرة قدامة له، فمفهومه قام على الأقسام الخمسة التي ينقسم إليها وهي: العلم بالشعر، ويعني به علم غريب الشعر ولغته، أما الاستغراب والطرفة فهما مصطلحان يوردهما قدامة في باب أنواع نعوت المعاني ويظهر أنه يعتبرهما مصطلحا واحدا، لأنه يعرفه بقوله:"وهو أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه".[4]

فمصطلح "الغريب" عند الجاحظ، يعني اللغة الشاذة النادرة، في مفهومه، والغير المتداولة على الساحة الفنية.

-مصطلح البديع:

البديع لغة:

بدع- أبدع الشّيء وابتدعه أي: اخترعه، وابتدع فلان هذه الرّكيّة، وسقاء بديعٌ: جديد، ويقال: أبدعت الرّكاب إذا كلّت، وحقيقته أنها جاءت بأمر حادث بديع، وأُبدِع بالرّاكب إذا كلّت راحلته، كما يقال: انقطع به وانكسر إذا انكسرت سفينة.[5]

هذا وقد أشاد الجاحظ بأهمّية "البديع" كمصطلح بلاغي شائع في استعمالات الشّعراء قائلا: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان، والراعي كثير البديع في شعره، وبشّار حسن البديع، والعتّابي يذهب شعره في البديع".[6]

([1]) محمد عزام: المرجع السابق، ص 251.

([2]) المرجع نفسه، ص 252.

([3]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 60.

([4])المصدر نفسه، ج1، ص 60.

([5]) أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح، مزيد نعيم، شوقي المعرّي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998، ص 30.

([6]) الجاحظ: المصدر السابق، ج4، ص 55،56.

فكان ذكره لهذا المصطلح، خاصا بالغة، وهو من مقوّمات تفوّقها وانتشارها، كما أنّه يرد كسبب من أسباب الحسن والجودة في الكلام، والتفوّق في الشّعر.

ونجده في موضع آخر إذ يقول: وقال الأشهب بن رميلة:

إنَّ الألَى حانَتْ يَفْلِجْ دماؤهُمُ   هم القَوْمُ كلّ القَوْمِ يا أمّ خالد

هُمْ سَاعِدُ الدَّهْرِ الذِي يُتَّقَى به   وما خير كفٍّ لا تنوءُ بِسَاعِدِ

أسُودُ شُرَى لاَقِتْ أسُودُ خَفِيَّةٍ   تَسَاقُوا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِيد

ففي قوله "هم سَاعِدُ الدَّهر" إنما هو مثل، وهذا الذي تسميّه الرّواة "البديع"، كما قال الراعي:

هُمْ كَاهِلِ الدَّهْرِ الذِّي يُتَّقَى بِهِ   ومَنْكِبُهُ إِنْ كَانَ للدَّهْرِ مَنكبُ.[1]

وعليه فمصطلح "البديع" الذي يعتبر نوعا هامّا من أنواع الصّور الشّعرية، لم يكن معروفا، لكنّه متداولا على ألسنة الرّواة، وهو أقرب إلى معنى الكلام الجميل.

أما عن الذين تحدّثوا بعده عنه كمصطلح متداول فيما بينهم، فإنّ أحد الباحثين يقول: "كان ابن المعتز (ت 293 هـ) هو صنّف في البديع فجمع منها بضعة عشر نوعا، وزاد عليها قدامة بن جعفر وجعلها العسكري خمسة وثلاثين ثم أضيفت إليها حتى بلغت في بديعية صفى الدين الحلى مائة وإحدى وخمسين نوعا، وصارت ضروب البديع تستعمل لتحسين المعاني والألفاظ، كما أن البديع طغى على النقد وصنعه بطابعه، ويبدو أثر هذا الطابع جليّاً واضحاً في معظم مؤلفات النّقاد الذين تعاقبوا بعد قدامة بن جعفر".[2]

فمصطلح "البديع" عند الجاحظ –إذن- هو ضرب من ضروب البيان وهو من أهم المصطلحات النقدية البلاغية في هذا المجال، ولعل مفهومه في الاصطلاح المعاصر يقابل مصطلح الإبداع.

-مصطلح المثل:

المثل لغة:

هو من مَثَلَ، يَمْثُلُ، مُثُولاً، ويقال : مَثَلَ الرّجل بين يديّ فُلاَن–مُثُولاً أي: قام بين يديه مُنْتَصِباً وزال عن موضعه، وفُلَان فُلاناً، صار مثله يسدُّ مسدّهُ.

(ومثّل) بفلان بالتّشديد هي للمبالغة

و–الشّيءَ بالشّيء تمثيلا، وتمثالا، شبّهه به. وقدّره على قدره.

والشّيء لفلان: صوّره له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه.

([1]) المصدر السابق، ج4، ص 55.

([2]) رجاء عيد: المرجع السابق، ص من 201 إلى 204.

و(المثَلُ): المِثْلُ. و–جملة من القول مُقْتَطِعَة من كلام، أو مُرسلة بذاتها، تنقل ممّن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير، مثل"الصّيف ضيّعت اللّبن" و" الرّائد لا يكذب أهله ".[1]

هذا وقد وردت الإشارة إلى مفهومه في مواضع كثيرة في "البيان والتّبيين"منها قول الجاحظ: "وقد سمعنا في المثل : "أحمق من راعي ضأن ثمانين".[2]

فنجده هنا قد ضرب " المثل " في نموذج من النماذج:

كما ذكر أيضا: في المثل السابق قوله، "سبق السّيف العَدلَ".[3]

إذ فيه ضرب للمثل في حادثة معيّنة.

وفي موضع أخر يقول: "لا تكن حلوا فتزدرد، ولا مرّا فتلفظ".[4]

وهو نوع أشبه بالحكمة.

كما يرد المثل لمجرّد التعبير عن مال ما.

وذلك في قوله : "فَمَا كَانَ قَيْسُ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ   ولَكِنَّهُ بُنيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما ".[5]

فتمثيله هنا كان من حيث مضمونه.

أما من ناحية الشكل فقد ذكر المثل الشعري بقول : " وكان زيد بن علي كثيرا ما يتمثل أبيات الشعر القائلة :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ   كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حُرَّ الجِلاَد

مُنْخَرِقَ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَجَى   تنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَادُ.[6]

والمثل النّثري من خلال قوله: "كل ما أقام شخص، وكل ما ازداد نقص، ولو كان الناسُ يميتهم الدّاء إذا لأعاشهم الدّواء".[7]

فكان "المثل" بهذا عبارة عن قول له قيمة تعبيرية خاصّة، يُستعمل لتصوير ما بالأنفس والتّعبير عن المراد عند تشابه الحال، ولعلّه بعدّة أنواع، كما ذكر سابقا.

([1]) مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الوسيط، المصدر السابق، ج1، مادّة [تمثّل]، ص 853،854.

([2]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 248.

([3]) المصدر نفسه، ج1، ص 389.

([4]) المصدر نفسه ، ج3، ص 255.

([5]) المصدر نفسه، ج3، ص 188.

([6]) المصدر نفسه، ج3، ص 359.

([7]) المصدر نفسه، ج1، ص 154.

ثم هو عند الجاحظ: عبارة عن حكاية، أو صورة مفترضة، أو حقيقية، يُؤْتَى بها لجعل حقيقة ما ماثلة شاخصة أمام المخاطب، و منها قوله: "وفي كلّ ذلك قد روينا الشّاهد الصّادق، و المثل السّائر".[1]

وقوله: "وقيل لأبي المهوّش ؟ قال: لم أجد المثل النّادر إلاّ بيتا واحدا، ولم أجد الشّعر السّائر إلاّ بيتا واحدا ".[2]

وعليه فالمثل عنده ما هو إلاّ قول من الأقوال، أو حكاية، أو صورة، قد يؤتى به عند تشابه الحال، أو من أجل تشخيص حقيقة بعينها.

-مصطلح الخطل:

الخطل لغة:

هو من خطل، خَطْلاً أي: استرخى واضطرب، ويقال (أخطَلَ) في كلامه: خَطِلَ، و(الخطَلُ): الكلام الفاسد الكثير المضطرب، وفي حديث عليّ: "فركب بهم الزّلَلُ، وزيَّنَ لهم الخَطَلَ": المنطق الفاسد.[3]

كما هو الزّيادة في الكلام عن المقدار المطلوب، أو الكلام الفاضل عن قدر الاحتمال، و الداعي إلى الاستثقال، والملال، لما فيه من اضطراب، وزيادة عن المقدار، أو البيان، وقليل كاف خير من كثير غير شاف.[4]

هذا وقد ورد مصطلح "الخطل" عند الجاحظ في مواضع عديدة، فما جاء عن قول "ابن الأعرابي" أنه: قيل لعبد الله بن عمر، لو دعوت الله بدعواتٍ، فقال: اللهم ارحمنا، و عافنا، و ارزقنا، فقال له رجل ، لو زدتنا يا أبا عبد الرّحمان: فقال: "نعوذ بالله من الإسهاب".[5]

فما أراد من وراء هذا القول إلاّ معنى "الخطل": الذي يعني الزّيادة التي تؤدي إلى الإسهاب.

كما تذكر في موضع أخر قوله: "و إنّما العجب إسراف الرجل في السّرور بما يكون منه، والإفراط في استحسانه، حتى يظهر ذلك في لفظه وفي شمائله".[6]

فمصطلح "الخطل" هنا جاء ، بمعنى " الإسراف و الإفراط "

ومن قول الشاعر:

وَذِي خَطَلٍ فِي القَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبُ ... وَ أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مُقَاتِلُهُ.[7]

([1]) المصدر السابق، ج2، ص 05.

([2]) المصدر نفسه، ج1، ص 207.

([3]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة[خَطِلَ]، ص 245.

([4]) رابح العوبي: مصطلحات ومفاهيم في الأدب والنّقد والبلاغة خلال القرن الثاني والثالث للهجرة، ط1، 2005م، ص 32.

([5]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 97.

([6]) المصدر نفسه، ج1، ص 99.

([7]) المصدر نفسه، ج1، ص 110.

وفي موضع أخر يقول: "فأمّا الخطب بين السّمَاطين، وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خَطَلٍ والإطالة، في غير إمْلَال". [1]

وعليه فإن هذا المصطلح يرد دائما فيما معناه: الإفراط ،والإسراف، والزّيادة، والإسهاب، مع إكثار زائد عن المقدار، ممّا يؤدّي إلى الاضطراب.

وهو عند الجاحظ يقصد به الزّيادة عن المقدار، وما يقابل مفهوم "الخطل" في العصر الحالي هو مصطلح "الإطناب".

-مصطلح الهزل:

الهزل لغة:

هو نقيد الجدّ حيث قال الكمّيت:

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الحَيَاةِ وَطُولِهَا تَجِدُّ بِنَا في كلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ. [2]

وهَزَلَ-هَزْلاً، ضَعُفَ وغَثَّ.

فهو هَازِلُ وهزيل: (ج) هزلي.

و-فلان في كلامه -هزْلا :مَزَحَ، فهو هازِل ، و-هزَّالُ.

ويقال:هَزَلَ في الأمر: لم يجدَّ. [3]

و الهزل أحد طريقي الشّعر عند القرطاجني الذي قسّمه إلى طريق جدّ وطريق هزل، وطريق الهزل:"مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون، وسخف بنزاع الهمّة والهوى إلى ذلك". [4]

أما عن مصطلح "الهزل" عند الجاحظ، فلم يذكر له تعريفا واضحا، ولم يشر إليه إشارة مباشرة فنجده يقول عن إبراهيم بن هانئ: "وكان ما جنا خليعا، وكثير العبث متحرّرا، ولولا أنّ كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجدّ لما جعلته صلة الكلام الماضي، وليس في الأرض لفظ يسقط البتّة، ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن".

فحديثه عن ابن هانئ هو موضوع في دائرة المجون والخليعة، وكثرة العبث، وإن كان الكلام الذي أراد به الهزل يدخل باب الجدّ، فلا يكون دائما مناقضا له.

كما أنّ "الهزل" نوع من الكلام يراد به الاستخفاف، والمزاح، وهذا المصطلح يقابله في الاصطلاح المعاصر مصطلح "الكوميديا".

([1]) المصدر السابق، ج1، ص 116.

([2]) ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج15، مادّة [هَزَقَ]، ص 62.

([3]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة[هزل]، ص 985.

([4]) أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النّقد العربي القديم، المصدر السابق، ص 437.

-مصطلح الفحولة

الفحولة لغة:

- فحل: هو من فحل الإبل ونحوها_ فحلا أي أرسل فيها فحلاً، ويقال: فحلها فحلا.

أفحل فلان: اتّخذ فحلا-و-فلانا فحلا: أعاره إيّاه.

وتفحّل: تشبّه بالفحل: والشّجر: انقطع عن الإثمار ولم يحمل.[1]

أما اصطلاحا:

"فالفحولة" مصطلح نقدي متداول في كتب النقد العربي القديم، يتميّز بجودة السّبك وبراعة المعنى ووفرة الشّعر.[2]

- أو هو المتميّز بوفرة إنتاجه، وتنوّعه، وجودته، شكلا، ومضمونا.[3]

هذا وقد أشار الجاحظ إلى معناه من خلال قوله:

"ويقال في الفحل إذا لم يحسن الضراب: جمل عاياياء، وجمل طباقاء"، "وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها زوجي عياياء طباقاء، وكل داء له دواء".[4]

فما ذكر من مصطلحات "الفحولة" أنه يستحسن أن يكون دقيقا، مع وفرة الشعر، وجودة سبكه، وبراعة اختراع أجمل للمعنى، وقد ورد عند ابن سلّام بنفس المعنى الذي جاء به الجاحظ من خلال قوله: "يقصد به الشهرة، والجودة معتمدين على قول أبي عمرو بن العلاء: (كان أوس فحلا مضر)، وقدامه امتاز عن سابقيه في أنّه مدّ مصطلح "الفحولة" ليشمل المشهورين، والمجدّين في الجاهلية والمحدثين، بينما كان النقاد القدماء يقصّرونه على الجاهليين.[5]

فيقتصر هذا المصطلح فعلا على الشعراء دون غيرهم ويركّز أكثر على قوة شاعريتهم، حيث أنها يجب أن تتميز ببراعة المعنى وجودته.

-مصطلح التّثقيف:

التّثقيف لغة:

هو من (ثقِف)-ثقف أي صار حادقا فطنا، فهو ثقف، والعلم والصناعة حذقهما.

و(تثاقفوا) ثاقف بعضهم بعضا.

([1]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة[فحفح]، ص 676.

([2]) محمد عزام: المرجع السابق، ص 271.

([3]) رابح العوبي: المرجع السابق، ص7.

([4]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 109.

([5]) محمد عزام: المرجع السابق، ص272.

والثقافة: العلوم والمعارف، والفنون التي يطلب الحذق فيها.(1)

والتّثقيف **اصطلاحا**: هو تجويد الشّعر.(2)

تحدث الجاحظ إلى مفهومه دون الإشارة الصريحة له بقوله: " وكذلك كل من جوّد في جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النّظر حتى يُخرج أبيات القصيدة كلّها مستوية في الجودة".(3)

ثم هو يقول في موضوع أخر: "وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرّأي في معاظم التّدابير، ومهمات الأمور ميّثوه في صدورهم، وقيّدوه على أنفسهم، فإذا قوّمه الثّقاف، وأدخل الكير، وقام على الخلاص، أبرزوه محكّكا منقّحا، ومصفّى من الأدناس مهذبا".(4)

و هكذا نجد أنّ تثقيف الشّعر عنده هو الوقوف عند الأبيات ومعاودة النظر فيها، وذلك بإصلاحها وتحسينها.

كما هو تقويم الرّأي في التّدبير وغيرها من مهمات الأمور حتى يخرج منقّحا، مصفّى ومهذّبا.

والمثقف للشعر عند الجاحظ: هو الذي يقوم بعملية التّثقيف مستشهدا بقول عديّ بن الرّقاع:

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا   حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا

نَظَرَ المُثَقِّفُ فِي كَعُوبِ قَنَاتِهِ   حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنَادَهَا.(5)

فالتّثقيف عنده يخصّ الشّعر بالدّرجة الأولى، ويعني التّأمل، والتّقويم، وإعادة النّظر، وهو عكس التّثقيف بالمعنى الحديث والمعاصر الذي يعني البحث والإطلاع.

-مصطلح النّوادر:

النّوادر لغة:

هو من (نَدَرَ)، الشّيءُ-نُدوراً أي: سقط، ويقال: هزَّ الغُصنَ فندرت منه الثّمار.

و(تَنَادَرَ): حدّث بالنّوادر، وعلى فلان: سخر منه. و-علينا: جاءنا أحيانا.

و(النَّادرة): الطّرفة من القول، وهو نادرة أزمانهِ: وحيد عصرهِ. (ج): نوادر.(6)

وقد ذكر الجاحظ مصطلح "النّوادر" في بيانه قائلا: "وإنّما ذلك كنوادر كلام الصّبيان، ومُلحِ المجانين، فإنّ ضحك السّامعين من ذلك أشدّ، وتعجّبهم به أكثر، والنّاس موكّلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد".(7)

---

(1) معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، باب [ثقف]، ص 98.

(2) محمد عزام: المرجع السابق، ص 87.

(3) الجاحظ: المصدر السابق، ج2، ص13.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص14.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص 244.

(6) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة[نَدَرَ]، ص 910.

(7) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 90.

فكان منظوره للنّوادر إذن بأنّها: الأقوال التي تضحك، وتثير الاستغراب، كنوادر كلام الصّبيان، كما أنّها الأقوال التي تثير التعجّب، لأنّها تأتي بالغريب وتخرج عن المتوقّع.

وهي كثيرة إذ قد تكون نثرية قصيرة، وقد تكون في شكل صورة، أو حكاية، أو حوار.

كما أنّ مصطلح "النّوادر" عند الجاحظ يعني: "الأشعار التي بلغت من الجودة في معناً ما حدّاً جعلها تخرجُ عن المعتاد، فسارت لذلك، وهذا الذي يُستفاد من عدّة نصوص، منها قولهم: "لو أنّ شعر صالح بن عبد القدّوس وسابِق البربري كان مفرّقا في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع ممّا هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق، ولكن القصيدة إذا كانت كلّها أمثالا لم تسر، ولم تجرِ مجرى النّوادر ومتى لم يخرج السّامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع".[1]

وعليه فمصطلح "النّوادر" عند الجاحظ قد يعني الأقوال التي تضحك، وتثير الاستغراب والتّعجب لندرتها، أو يعني خروجها عن المتوقّع، كما أنّها قد تعني الأشعار التي تخرج عن المعتاد، وذلك لبلوغها في معنى ما حدّاَ كبيرا من الجودة، ومن أنواعها نوادر كالقصائد، ونوادر الأشعار، ونوادر الأعراب، والعوامّ، والمعاني وكلّ نوع من هذه الأنواع ممثّلة بنماذج في "البيان والتّبيين".

-مصطلح البلاغة:

البلاغة لغة:

هي من بَلَغَ الشّيئُ يَبْلُغُ بلوغاً وبلاغاً أي: وَصَلَ وانتهى، أو بَلَغَه هو إبلاغاً وبلّغه تبليغاً، وقول أبي قَيْس بن الأسلتِ السُّلميّ قالت:

وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الخَنَى   مَهْلاً ! فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي.

إنّما هو ذلك أي قد انتهيت فيه وأنعمت. وتبَلَّغَ بالشّيء: وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته. والبلاغة: الفصاحة.[2]

ثم سرعان ما تعدّدت معاني "البلاغة" عند البلاغيين والنّقاد القدامى، خاصّة عندما سئلوا عنها ما هي؟ فقالوا قليل يفهم، وكثير لا يسأم، كما قال آخرون: هي إجادة اللّفظ، وإشباع المعنى، فخلف الأحمر يقول: "البلاغة لمحة دالّة، أمّا الخليل بن أحمد فقال: البلاغة كلمة تكشف عن البقيّة..".[3]

إذ كلّها تتّفق في أنّها تدلّ على الإيجاز في إيصال المعنى، أمّا فيما يخصّ وجود المصطلح في "البيان والتّبيين" للجاحظ فقد ركّز على البلاغة النّثرية الشّفوية، وخصوصا الخطابية، أمّا البلاغة الكتابية أو بلاغة

([1]) الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب (البيان والتّبيين) للجاحظ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1995م، ص 224.

([2]) ابن منظور: المصدر السابق، ج2، مادّة[بلعق]، ص 143.

([3]) انظر: محمد عزام: المرجع السابق، ص 74.

القلم فلم يكد يهتمّ بها، وتحدّث تحت عناوين ثلاثة: البيان، والبلاغة، والخطابة، عن قضيّة واحدة هي الكلام الجيّد، ووقف كتابه على الأدب الشّفوي بألوانه المتعدّدة.(1)

يقول: "قال عمر الشّمري: كان عمرو بن عُبيد لا يكاد يتكلّم، فإذا تكلّم لم يكد يطيل، وكان يقول: لا خير في المتكلّم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلّم أسباب التّكلّف، ولا خير في شيء يأتيك به التّكلف".(2)

ثمّ هو في مواضع أخرى يذكره أحيانا بلفظه، وأحيانا أخرى يشير إليه بمعناه، إذ يقول: حدّثني صديق لي قال: قلت للعتّابي ما البلاغة ؟ قال: كلّ ما أفهمك حاجته بغير إعادة ولا حبسة، ولا استعانة فهو بليغ فإن أردت اللّسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كلّ خطيب، فإظهار ما غَمُضَ من الحقّ، وتصوير الباطل في صورة حقّ".(3)

ومنه فالبلاغة هي الوصول والإنتهاء إلى الغاية في التّبيين، والإفهام بأفضل أسلوب فهنا تسمّى البلاغة، بلاغة المتكلّم.

وفي مكان آخر يقول: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أنّ خير أبيات الشّعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنّه يقول: فرّق بين صدر خطبة النّكاح، وصدر خطبة العيد وخطبة الصّلح، وخطبة التّواهب....".(4)

فالمصطلح هنا يعبّر عن الجودة والحسن الموجودان في الكلام، فسمّيت ببلاغة الكلام.

وعليه فإنّه ومن خلال ما ذكرناه سابقا، نصل إلى أنّ البلاغة هي قدرة المتكلّم على توصيل المعنى، وعلى قدرته على الإفهام، بأفضل أسلوب، حيث يكون الكلام جيّدا حسنا.

وبما أنّها الكلام البليغ نفسه، فإنّه يستشهد بقول بعضهم: "لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك".(5)

ومن مميّزات آلة البلاغة ما يلي:

– الطّبع الذي يميّز الرجل سواء في تأليف الرّسائل، والخطب أو في غيرها، ولا يكون له ذلك في قرض بيت شعر. وفي هذا يقول: "وقد يكون الرّجل له طبيعة في الحساب، وليس له طبيعة في الكلام".(6)

---

(1) المرجع السابق، ص 74.

(2) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 114،115.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 113.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 116.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 115.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص 208.

- المعرفة بحقوق المقام والكلام، وفي ذلك يقول: قال ابن المقفع في تفسيره للبلاغة: "إذا أعطيت كلّ مقام حقّه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لمافاتك".[1]

- الموازنة بين الألفاظ والمعاني، وبين الحالات والمستمعين: "إذ ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين، وأقدار الحالات فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما".[2]

-مصطلح الوزن:

الوزن لغة:

وَزَنَ: الشّيء (يزن) وزناً، وزِنَةً: رَجَحَ.

و-الشّيء- قدّره بواسطة الميزان، و-رفعه بيده ليعرف ثقله وخفّته.

وقدّره، يقال: وزن الكلام (وَزُنَ)-(يُوْزَنُ) وَزَانَةَ: كان متثبّتاً.

(الوَزْنُ): سِنْجَةُ الميزان(ج) أوزان.

و-كتلة من تمر، لا يكاد الرّجل يرفعها بيده، تكون في جُلّة من جلال هَجَرَ أو ثُلُثَها (ج) وُزُون—و(عند العروضين) ما بنت عليه العرب أشعارها وجمعه أوزان.[3]

أمّا اصطلاحا، فهو كذلك مصطلح عروضي، وهو المعيار الذي يقاس به الشّعر، ويعرف سالمه من مكسوره والوزن أحد مقوّمات الشّعر، بل أعظم أركانه لأنّه الإيقاع الذي يضفي على الكلام رونقا، وجمالا، ويحرّك النّفس ويثير فيها النّشوة والطّرب.[4]

ثم إنّه ورد عند الجاحظ بقوله: "أنّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة، وإحكام الصّنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهار المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى بالأعناق".[5]

([1]) المصدر السابق، ج1، ص 116.

([2]) المصدر نفسه، ج1، ص 138.

([3]) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادة [وزن]، ص 1030.

([4]) أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، المصدر السابق، ص 442.

([5]) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص 287.

فكلّ هذه السّمات المذكورة أعلاه يجب التّقَيُدُ بها للوصول إلى نتائج حسنة، ذلك أنّ مصطلح الوزن يحمل معنى الإيقاع الموسيقي، والنّغمي في الشّعر في آن واحد.

و أخيرا ضبط النّفس والقوى، ساعة القول، إذ يجب على المتكلّم إذا خطب أن يكون حسب نظَرِهِ "رابط الجأش ذاكراً لما عقد عليه أوّل كلام".[1]

كما يذكر في موضع آخر قوله: "كما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد، وقِصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب، وتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطّويل، والبسيط والمديد، والوافر، والكامل، وأشباه ذلك، وكما ذكر الأوتاد، والأسباب، والخَرْم، والزّحاف، وقد ذكرت العرب في أشعارها السّناد، والإقواء، والإكفاء، ولم أسمع بالإيطاء، وقالوا في القصيد، والرّجز، والسّجع، والخطب".[2]

فقالوا بهذا أنّ الخليل وضع أسس وقواعد عامّة في علوم العروض، مع أنّ العرب لم يتعارفوا عليها من قبل، فكان من اللاّزم التّمسك بها، ذلك أنّ مصطلح الوزن في نظر الجاحظ، يحمل معنى بحر الشّعر ونظام الموسيقى لكل بحر من البحور.

ورود أيضا مصطلح "الوزن" عندما قال: "قيل لعبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرّقاشي: لِمَ تؤثر السّجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي، وإقامة الوزن؟ قال: إنّ كلامي لو كنت لا آمل فيه إلاّ سماع الشّاهد لقلّ خلافي عليك، ولكنّي أريد الغائب والحاضر، والرّاهن والغابر فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحقّ بالتّقييد، وبقلة التفلّت".[3]

فكان مصطلح "الوزن" أكثر انتماء لعم العروض، حتى عُدَّ معيارا للشّعر، وسبب من أسباب الوزن، وهو صفة مميّزة للشّعر عن النّثر، وعامل حاسم، وفعّال في حفظ الشّعر وضمان سيرورته، على ما في إقامة الوزن من مشقّة وعناء.

([1]) المصدر السابق، ج1، ص 92.
([2]) المصدر نفسه، ج1، ص 139.
([3]) المصدر نفسه، ج1، ص 297.

-مصطلح القافية:

القافية لغة:

(قفى) قَفْياً: قَفَا (أقفى) الرّجل، أكل طَعَاماً مُختاراً.

و-به: أكرمه،و-فلانا بأمر: آثره به.

و-فلانا على غيره: فضّله، (قفى): على الشّيء: غشيه أو ذهب به، و-الشعر: جعل له قافية.

و-فلاناً وبه: أتبعه إيّاه ويقال: قفّى على أثره بفلان (القافية): مؤخر العنق.

و-آخر كلّ شيء-و-في الشّعر: الحروف التي تبدأ بمتحرّك يليه آخر ساكنين في آخر البيت.[1]

أمّا **اصطلاحاً** فهو: "مصطلح عروضي يتكوّن من مجموع السّاكنين اللّذين في آخر البيت، وما بينهما من المتحرّكات، والمتحرّك الذي قبل السّاكن الأوّل".[2]

لكن ما يلفت انتباهنا على هذا المصطلح في "البيان والتّبيين" أنّه جاء على شكل أبيات، حيث يقول فيها الجاحظ:

سَلِ الخُطَبَاءُ هَلِ سَبَحُوا كَسَبْحِي بُحورَ القَوْلِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي

لِسَانِي بالنَّثِيرِ وبالقَوَافِي وبالأَسْجاعِ أَمْهَرُ فِي الغَوَاصِ.[3]

فكانَ معنى البيت الشّعري أَنَّ النّثير هو الكلام المنثور بخواتم أبيات الشّعر، والكلام المزدوج على غير وزن لا غير. ونستدلّ على ذلك من خلال قول ابن رشيق في "كتابه العمدة": "القافية من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه قبله مع حركة الحرف الذي قبل السّاكن".[4]

(1) المعجم الوسيط: المصدر السابق، مادة[قفاه]، ص 752.

(2) عبد القادر القاضي: الشعر العربي أوزانه وقوافيه وضروراته، منشورات ANEP، الابيار، الجزائر، ط1، 2002م، ص 218.

(3) الجاحظ: المصدر السابق، ج1،ص 179.

(4) ميشال عاصي: المرجع السايق، ص 159،160.

- ونجد أيضا قول الجاحظ أنّ: "كبار المتكلّمين ورؤساء النظّارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، واشتقّوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، واصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكلّ خلف".(1)

ومنه فمصطلح "القافية" هي لفظة متداولة على نطاق واسع، ومعروفة لدى الشّعراء قبل أن يهتمّ بها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقبل أن يشغلها كمصطلح علمي لهذا الجزء من الوزن.

كما ورد مصطلح "القافية" في موضع آخر عند الجاحظ، حيث قال في هذا الصّدد: "والقافية لم تحلّ في مركزها وفي نصابها، ولم تتّصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تُكْرِهْها على اغتصاب الأماكن، والنّزول في غير أوطانها".(2)

إذ يوضح هنا مفهومها لجمالياتها عندما تحلّ في مكانها، غير قلقلة، ولا نافرة، بالنّسبة لما شاكلها من ألفاظ البيت الذي نختمه.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ مصطلح "القافية" ما هي إلاّ خواتم أبيات الشّعر، وهي منتشرة ومتداولة على أيدي، وألسنة الرّواة، والشّعراء منذ زمن طويل.

-مصطلح اللّغز:

اللغز لغة:

(لَغَزَ): اليربوع أحجاره. لُغْزاً أي: حفرها ملتوية مشكّلة على سالكها.

و-الشّيء-مال به عن وجهه ويقال: لغز في كلامه، ومنه: (ألغز) اليربوع أحجاره: لغزها.و-كلامه، وفيه عمّى مراده وأضمره ،على خلاف ما أظهر، كما يقال: ألغز في يمينه: دلّس فيها على المحلوف له، وجمعه ألغاز.(3)

هذا وقد أشار إليه الجاحظ في كتابه "البيان والتّبيين"، في باب قد سمّاه باب من "اللّغز في الجواب"، جاء فيه، "قالوا: كان الحطيئة يرعى غنماً له، وفي يده عصا فمرّ به رجل فقال: يا راعي الغنم، ما عندك؟ قال: عجراء من سَلَمٍ، يعني عصاه، قال: إنّي ضيف، فقال الحُطيئة: للضّيفان أعددتها".(4)

وقال أيضا: على لسان خالد بن الوليد لأهل الحيرة: أخرجوا إلى رَجُلاً من عقلائكم اسأله عن بعض الأمور [...] فقال له خالد: من أين أقصى أثرك؟ فقال: من صلب أبي، قال: فمن أين خرجت، قال: من بطن أمّي، قال فعلام أنت؟ قال: على الأرض".(5)

(1) الجاحظ: المصدر السابق، ج1، ص139.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 138.

(3) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، مادّة [لَغَوَق]، ص 830.

(4) الجاحظ: المصدر السابق، ج2، ص 147.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 147.

وعليه فإنّ الجاحظ يحاول هنا الكشف دائما عن حقيقة مفهومه لهذا المصطلح، ورغم أنّه في هذه الأمثلة يبرهن على ما يسمّيها لُغزاً أو ألغازاً، فإنّها في حدّ ذاتها لا تبوح بأكثر من أنّ "اللّغز" هو الكلام الملتبس والغامض الغير المفهوم، في معناه ودلالته، الذي يسعى من وراءه للكشف عن حقيقة المفهوم.

وإذا سرنا على خطى قليلة بين "الجاحظ" و "قدامة بن جعفر"، فالأول يسمّيه "لغز في الجواب"، والثاني "أبيات المعاني"، التي تعتبر نوع من أنواع الإعراب التي يطابق مفهومه في الكناية باعتبارها فرعا من الصّور البيانية مع فارق هو أنّ مدلول "أبيات المعاني" أكثر غموضا والتباسا، وأصعب كشفا ممّا هو في الكناية.[1]

كانت هذه أهمّ المصطلحات النّقدية الموجودة في كتاب "البيان والتّبيين"، وما يلاحظ على هذه المصطلحات تناثرها في الكتاب، وذكرها في مواضيع مختلفة، فأحيانا يورّدها الجاحظ بألفاظها، وأحيانا يذكرها بمعانيها، وكثير من هذه المصطلحات تتداخل فيما بينها، مثل الصّنعة والتّكلف، ومثل الحوشي والوحشي، والطّبع والإلهام.

وبعض هذه المصطلحات مازال قائما إلى يومنا الحالي مثل الكلام وبعضها تغيّر على صعيد التّسمية مثل مصطلح السّرقات الشّعرية الذي أصبح يعرف بالتّناص، والبعض الآخر أهمل مثل مصطلح السّبك وغيرها.

وهناك مصطلحات كثيرة لم نأت على ذكرها لعدم قدرتنا على الإحاطة بها ككلّ وذلك لضيق الوقت فإننا اكتفينا إذن بأهمها.

ومن المصطلحات التي لم نأت على ذكرها، النّصبة أو الحال، العيّ والهذر، التّتعتع، اللّثغة، العقلة، الزّخرف، الاحتذاء، التّخلص، التّوليد، الكناية، المصراع، الازدواج، الفلسفة، التّرجمة...

[1] انظر: ميشال عاصي: المرجع السابق، ص 154.

الخـــاتمة

خاتمة:

1-إنّ بدايات المصطلح عند العرب كانت من خلال تعريفهم للفظي "اصطلاح" و"مصطلح"، ولو اعتبرناه كعلم مستقل فهو إنّما كان عند الغرب في الأربعينيات من القرن الماضي.

2-المصطلح النّقدي عند العرب نشأ انطلاقا من البيئة العربية المعاشة، والنّقاد الأوائل استنبطوا المصطلحات النّقدية منها، واعتمدوها في دراستهم.

3-أنّ النّقاد العرب حين مارسوا النّقد لم تكن في السّاحة النّقدية والأدبية آنذاك قضيّة اسمها المصطلح النّقدي، فحاول الباحثون العرب تعريفه، والوقوف عليه، والاهتمام ببحثه من خلال عرض أهمّ ميزات المصطلح النّقدي الذي انضم إلى ميدان النّقد.

4-وظائف المصطلح النّقدي هي من وظائف المصطلح، إذ أنّ الاستخدامات التي يضطلع بها هي من صميم هذه الوظائف.

5-أنّ المصطلح النّقدي العربي أصبح يعيش حالة من الاضطراب، والتّعدّد، والفوضى، أو بالأحرى حالة من اللاّهوية، بسبب تهافت النّقاد العرب إلى نقل المصطلحات من البيئة الغربية، ووضعها في البيئة العربية غير مبالين بالفروقات، ولا معتمدين على منهجيّة موحّدة، وواضحة لذلك، إلاّ أنّ هذا لا ينفي على الجاحظ جهوده في إبرازه لها بما يزخر كتابه بهذه المصطلحات النّقدية، على الرّغم من أنّه لم يقصد وضع المصطلح في حدّ ذاته، وإنّما قصد التأليف فقط، وأنّ مفهومه لبعضها ظلّ قائما إلى يومنا الحالي مع التّغير في التّسمية

6-كما أنّ الاصطلاحات والآراء النّقدية عند الجاحظ كانت تلبية لحاجة اجتماعية، وعقلية، ودينية..

7-أنّ المصطلحات النّقدية في كتاب "البيان والتّبيين" على كثرتها يصعب تحديدها، وإحصاؤها إحصاءًا شاملاً دقيقا، ووضع مفهوم واضح لها كما في مصطلحات السّاحة المصطلحية المعاصرة.

وعليه فالمصطلحات النّقدية لها إرهاصاتها الأولى التي تعود إلى التّراث العربي، ولو أحسن استيعابها، وتدقيقها لما وقع للمصطلح النّقدي ما وقع له اليوم من ضياع، وتشتُّت، فيُحسنُ بالنّاقدين العرب الالتفات إلى التّراث قليلا، لأنّ فيه ما يغنيهم عن مشقّة استيعاب ما عند الآخر، ونقله إليهم، وهم يملكون أفضل ممّا عنده لكنّهم ينظرون إليه من مركّب نقص. فكان لابدّ أن نستفيد ممّا نملكه أوّلا، ثم ننفتح على الثّاني، ونستفيد منه في إطار المعقول.

وفي الأخير ندعوا الله عزّ وجلّ أن يكون عملنا هذا، مفيدا ولو بالقليل للطّلبة بصفة خاصّة، وللمتطلّعين في هذا الميدان بصفة عامّة.

قائمة

المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

أ- المصادر:

الجاحظ (أبو عثمان بن بحر): البيان و التبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1998م.

ب- المراجع:

1- إبراهيم السامرائي: المصطلح الإسلامي، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1990م.

2- أحمد أمين: النّقد الأدبي، دار الفكر العربي للنشر، بيروت، ط4، 1967م.

3- أحمد مطلوب: بحوث مصطلحية ، منشورات المجمع العلمي، ط 2006م.

4- أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية: علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية و الطبية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط و معهد الدراسات المصطلحية، فاس، ط 2005م .

5- حسين الحاج حسن: النقد الأدبي في آثار إعلامه، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر، ط1، 1996م.

6- حميد آدم ثويني: منهج النّهج الأدبي عند العرب، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمّان، ط1، 2004م.

7- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت.

8- رابح العوبي: مصطلحات و مفاهيم في الأدب و النقد و البلاغة خلال القرن الثاني و الثالث للهجرة، ط1، 2005م.

9- رجاء عيد: المصطلح في التراث النقدي، كلية الآداب، جامعة بنها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.

10- عبد السّلام المسدي: دراسات نقدية، قراءات مع الشّابي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، ط1، 1993م.

11- الشاهد البوشيخي: 1- مصطلحات نقدية و بلاغية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م .

......................................،2- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1990م .

12- صالح بلعيد: نظرية النّظم، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2009م .

13- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، دار نابلس ، بيروت، لبنان، ط1،ج3، 2005م.

14- عثمان موافي: دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ط 2000م.

15- علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت.

16- عبد القادر القاضي: الشّعر العربي أوزانه وقوافيه وضروراته، منشوات ANEP، الأبيار، الجزائر، ط1، 2002م.

17- قصي الحسين: النّقد الأدبي عند العرب واليونان، معالمه وإعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

18- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2009م.

19- محمد سلام زغلول: تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، د ت.

20- محمد الصغير بناني: النظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتّبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1994م.

21- محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، د ط، د ت.

22- محمد عناني: أدبيات المصطلحات الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي-، دار نوبار، القاهرة، ط3، 2003م.

23- محمد كريم الكواز: البلاغة والنّقد، المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، ط1، 2002م.

24- محمد ممدوح خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م.

25-محمد منذور: الأدب وفنونه، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2002م.

26- ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنّقد في أدب الجاحظ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، د ت.

27- مهدي صالح سلطان الشمري: في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2012م.

28- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2010م.

29- وليد محمود خالص: الدرس النقدي القديم بين النظرية والمصطلح، مؤسسة الوراق، عمان، الاردن، ط1، 2004م.

30-وديعة طه نجم: الجاحظ والنّقد الأدبي، حوليات كليات الآداب، الكويت، الحولية 10، 1989.

31- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م.

المعاجم و الموسوعات:

1- أحمد بن زكريا بن فارس: مقاييس اللّغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008م.

2- أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2001م.

3- أنطوان غزل، ريمون حرفوش، مأمون الحموي: المنجد في اللّغة العربية المعاصرة، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

4- أبو البقاء الحنفي الكفوي: الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق الفردية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

6- علي محمد السيّد الشريف الجرجاني: 1- معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط، د ت.

....،2- معجم التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصّلح، بيروت، ط 1986م.

7- أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري: 1-أساس البلاغة، تح: محمد باسل، عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

....،2- أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1988م.

8- أبو عبد الله ياقوت بن عبد اللّه الرومي الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى المعرفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.

9- مجمع اللّغة العربية: 1-المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005م.

2- المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، ج1، د ط، د ت.

10- محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، سلسلة قواميس المنار، دار مدني، د ط ، د ت.

11- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 2000م.

المراجع المترجمة:

1- شارل بيلا: الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء، تر: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق ،ط$_1$، 1985م.

المجلات:

1- مجلّة "المقتطف"، مج: 426/76، 1930م، مقال:"من قضايا المصطلح العلمي عند الأمير الشهابي"، (مصطفى الشهابي)،أيمن الشوا.

2- مجلة "التراث العربي": ع 97، 1426هـ، دمشق، مقال: " المصطلح وإشكالية تحقيقه"،إبراهيم كايد محمود.

3- مجلّة "المخبر" أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، ع7، 2011م، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مقال: "كاريزما المصطلح النّقدي، تأملات في الوعي النّقدي وصياغة المفهوم"،لحسن دحو.

4- مجلة "اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الانسانية"، جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، مج 6، ع2، 2009م، مقال: "من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة،منتهى الحراحشة.

5- "مركز دراسات الكوفة"، ع 12، 2009م، مقال: "العلاقة بين الذوق والمصطلح النقدي في التراث النقدي العربي القديم"، حسين لفته حافظ.

6- مجلة "بناة الأجيال"، ع30، سوريا 1999م، بسّام قطّوس، مقال: "إشكالية المصطلح النّقدي المعاصر السيميولوجيا نموذجا"، محمود درابسة.

المقالات:

1- إبراهيم صدقة: مقال: "المصطلح النقدي بين التراث والحداثة، في عصر العولمة ودوره في تطوير المناهج النقدية في الجامعات العربية"، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2013م.

2- يوسف سامي يوسف: مقال: "النقد العربي، افاقه وممكناته، مقالة في الوحدة"، المجلس القومي للثقافة العربية، ع49، السنة الخامسة، النّقد والابداع العربي، 1988م.

3- محمد الأمين خلاّدي: مداخلة"ترجمة المصطلح النّقدي وآليات انجاحها"، الجامعة الإفريقية، العقيد أحمد دراية، أدرار.

4- عادل سالم عطية: دراسة بعنوان: "تحديد المصطلح ينهي الاضطراب الفكري والفوضى المعرفية"، شبكة الألوكة، ع 2392، كلية دار العلوم، جامعة الفيّوم، مصر.

المذكرات:

1- علي محمد العمّاري:" قضية اللّفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية (إلى عهد السكاكي 555هـ-626هـ)"، رسالة دكتوراه: جامعة الأزهر مكتبة وهيبة، مصر،ط1، 1999م.

2- صليحة إمدوشن: "توظيف المصطلح التراثي في ترجمة النّقد السيميائي"، مذكرة ماجستير، لغة وأدب عربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو،الجزائر، 2012م.

3- عبد الرشيد هميسي: "إشكالية توظيف المصطلح النقدي السميائي في الخطاب النّقدي العربي المعاصر"، مذكرة ماجستير، لغة وأدب عربي، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012م.

4- أحمد يحي علي محمد: "المصطلحات البلاغية والنقدية في شرح أبي العلاء لشعر المتنبي"، "معجز احمد"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الموصل،العراق، سنة 2005م.

5- نجيب ربيعي: "دراسات في حركة المصطلح النّقدي، مصطلح "النّص" في كتاب: نظرية النّص لحسين خمري أنموذجا"، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة،الجزائر، كلية الآداب واللّغات، 2011،2012.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ج
مدخل: بدايات ظهور المصطلح عامة والمصطلح النقدي خاصة	04
الفصل الأول: المصطلح والمصطلح النقدي (تعريفات ووظائف).	
المبحث الأول: تعريف المصطلح والمصطلح النقدي	13
1-تعريف المصطلح	13
أ-لغة	13
ب-اصطلاحا	14
2-تعريف المصطلح النقدي	15
أ-النقد لغة	15
ب-تعريفه اصطلاحا	17
ج-تعريف المصطلح النقدي	18
المبحث الثاني: وظائف المصطلح النقدي	19
1-الوظيفة اللسانية	20
2-الوظيفة المعرفية	20
3-الوظيفة التواصلية	20
4-الوظيفة الاقتصادية	22
5-الوظيفة الحضارية	22

الفصل الثاني: إشكالات وحلول المصطلح النقدي.

المبحث الأول: إشكالات المصطلح النقدي.......................... 24
المبحث الثاني: حلول المصطلح النقدي 38

الفصل الثالث: قراءة في البيان والتبيين.

التعريف بالجاحظ.............................. 43
المبحث الأول: قراءة مصطلحية في العنوان (الشكل).................. 45
المبحث الثاني: قراءة مصطلحية في اللفظ والمعنى (المضمون)............ 52

الفصل الرابع: المصطلحات النقدية المستخدمة في البيان والتبيين.

المرجعية النقدية للجاحظ...................................... 59
المبحث الأول:مصطلحات في الصناعة الكلامية......................... 61
من الصنعة إلى اللحن.. 61
من السبك إلى الفكرة.. 68
من الصواب إلى القبح.. 74
المبحث الثاني: مصطلحات في البلاغة والأدب.......................... 79
من الائتلاف إلى الاستعارة.. 79
من الغريب إلى التثقيف.. 86
من النوادر إلى اللغز.. 93
خاتمة.. 101
قائمة المراجع.. 103
الملاحق

الملاحق

قائمة مصطلحات في الصناعة الكلامية:

1-الصّنعة.

2-الخطابة.

3-التكلّف.

4-الطّبع.

5-الإلهام.

6-اللّحن.

7-السّبك.

8-التّنقيح.

9-الفنّ.

10-الكلام.

11-اللّغة

12-الفكرة.

13-الصّواب.

14-الملاحة.

15-الجودة.

16-الإغراق.

17-الحلاوة.

18-الزّخرف.

19-القبح.

قائمة مصطلحات في البلاغة والأدب:

1-الإئتلاف.

2-الحوشي والوحشي.

3-الأدب.

4-الحوليات.

5-الإشارة.

6-السّرقات الشّعرية.

7-الإستعارة.

8-الغريب.

9-البديع.

10-المثل.

11-الخطل.

12-الهزل.

13-الفحولة.

14-التّثقيف.

15-النّوادر.

16-البلاغة.

17-الوزن.

18-القافية.

19-اللّغز.